تأملات في

آية الكرسي

إعداد

د. عبد الله بن علي بصفر

دار نور المكتبات

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار نور المكتبات
السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس : ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب : ٤٠٣٧٤ - الرمز البريدي : ٢١٤٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

m

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعـــالمين ، وبعد :

فهذه الرسالة في معاني وتفسير وظلال آية الكرسي ، كنت ألقيتها علـــى عدة خطب بجامع منصور الشعيبي بجدة ، ثم رأيت أن أجمعها في رسالة لـــيعم نفعها ، وسرت فيها على السير الذي سرته في تـــأملاتي في ســـورة الفاتحـــة ، وفواتح البقرة ، وتعمقتُ وتأملت في بعض كلمات هذه الآية ، ولو تعمقـــت وتأملت في كل كلمة من كلماتها ، لكان فيها عجائب أخرى ، ولبيَّنتُ أسراراً عظيمة في هذه الآيات الكريمة، فكيف يجعل الله U في هذه الآية ، والتي هـــي أعظم آية في كتاب الله تعالى ، من الفضائل الشيءَ الكـــثيرَ والكـــبيرَ ، لـــولا اشتمالها على تلك المعاني العظيمة ، والأسرار الكريمة ، التي إذا عُرِفَ بعـــضُها تَمسَّكَ بها المسلمُ أكثرَ وأكثرَ ، وحافظَ عليها ، لعلها تكونُ خاتمته في كل ليلة، وخاتمته في نهاية العمر، وما كان لها أن يوجب لمن قرأها بعد الصلاة ، ثم لقـــي وجه ربه بدخول الجنة ، لولا عَظِيم فضلها وبركتها.

ولعل هذه الرسالة تشوق أحبابها للتعلق بها ، وتعليمها للأهـــل والأبنـــاء لتكون ديدنهم في الليل والنهار، فيحفظهم الله بها في الدنيا والآخرة، وإن وَفَّـــقَ الله تبارك وتعالى ، فسأحاولُ الاستمرارَ على هذه التأملات في مختـــارات مـــن كتاب الله تعالى، لعلَّ الله U أن ينفعني بها في الدنيا ، وأن يتقبلها مـــني يـــوم العرض عليه، وأسأل الله U أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وطلباً

لعفوه العميم ، ونيلاً لأجره الكريم، وأسأله أن يذكرني بهذه السورة بعد آخـــر كل صلاة أصليها لله رب العالمين على وجه هذه الأرض.

آمين آمين آمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه/ د. عبد الله بن علي بصفر

فضل آية الكرسي

روى مسلم في صحيحه عن أُبَيٍّ بن كعبٍ t قال: قال رسول الله e: (**يا أبا المنذر**) وهي كنية أُبَيٍّ t ، أقرأ الصحابة لكلام الله تبارك وتعالى ، كما قال عمر بن الخطاب t : (أَقْرؤُنا أُبيٌّ ، وأقضانا عليٌّ...)[1] ؛ فقال له عليه الصلاة والسلام: (**يا أبا المنذر! أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب الله U معك أعظم؟**) قلت: الله ورسوله أعلم. فقال عليه الصلاة والسلام: (**يا أبا المنذر! أتدري أي آيةٍ من كتاب الله U معك أعظم ؟**) فقال رضي الله عنه وأرضاه: آية الكرسي: { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ }[2] فقال e وضرب على صدره بيده: (**لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر**)[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨١) ، وانظر >صحيح البخاري< كتاب فضائل القرآن ، باب: القراء من أصحاب النبي e ، فقد أورد أحاديث أخرى في فضائل أُبي t .

(٢) سورة البقرة آية [٢٥٥].

(٣) رواه مسلم (٨١٠) في كتاب >صلاة المسافرين<. ومعنى: (لِيَهْنِكَ العلم): ليكن العلم هنيئاً لك.

فالعلم بأعظم آيةٍ في كتاب الله U فضيلة ، ويهنئ الرســـول e هـــذا الصحابي الجليل بمعرفة أفضل آية في كتاب الله ، ويصفه بالعلم بمعرفتها.

وفي روايةٍ لهذا الحديث: (**والذي نفسي بيده إن لها** ــ أي لهذه الآية ــ **لساناً وشفتين ، تُقَدِّسُ المَلِكَ** ــ سبحانه وتعالى ــ **عند ساق العرش**) [١].

وروى الحاكم بإسناد حسن عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (**سورة البقرة فيها آيةٌ سَيِّدة آي القرآن ، لا تقرأ في بيت فيه شــيطان إلا خرج منه ؛ آية الكرسي**)[٢] إذاً هي آية عظيمة ، هي أعظم آيةٍ في كتاب الله ، ولا شك أنها تستحق منا الاهتمام والعناية والفهم ، حـــتى نـــدرك الـــسر في اختيارها أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى.

ولذلك نرى أحاديث النبي e جاءت لتوجه المسلم ليختم صلاته ، ويختم يومه ، ويختم حياته بهذه الآية ، فهي آية الختام والتختيم والتوديع ، لما فيها من المعاني العظيمة والأسرار الكبيرة.

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله e: (**من قـــرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة ، كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى**)[٣] إذاً هذا أول تختيم ؛ أن تختم بها صلاتك ، وجزاؤك إن ختمت بهـــا الـــصلاة ، وحافظت عليها: أن يحفظك الله فتكون في ذمته وفي عهده ، وفي رعايتـــه وفي أمانه ، فماذا فعلت ؟! وماذا قدمت ؟! قرأتَ آية الكرسي ، وحافظتَ عليها ، وتذكرتها ؟! فمحافظتك عليها بإذن الله U حفظ من الله لك.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٤١،١٤٢)،(٢١٢٧٨) وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) رواه الحاكم (٢١٠٣) وقال: صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه.
(٣) رواه الطبراني في <الدعاء< (٦٧٤) وقال المنذري في <الترغيب< (٢٣٧٤): إسناده حسن.

وجاءت أحاديث أخرى توجِّهنا لنختم بها يومنا ؛ فلا ننام إلا بهذه الآية العظيمة ؛ لأن النوم هو الموتة الصُغرى ، فإما أن يعود الإنسان بعدها إلى هـــذه الحياة ، وإما أن ينتقل إلى رحمة ربه تبارك وتعالى ؛ فالنوم موتة صغرى ؛ فلذلك يقرأ المسلم هذه الآية الكريمة عند نومه.

عن أبي هريرة **t** قال: وكَّلَني رسول الله **e** بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رســـول الله **e** ـــ المال مال المسلمين ، وهذا يسرق من مال المسلمين ـــ فقال: إني محتـــاجٌ ، وعليَّ دين ، ولي عيال ، وبي حاجة شديدة. قال أبو هريرة **t** : فرحمته فخليت سبيله ، فلما أصبحت قال لي النبي **e** : (**يا أبا هريرةَ! مـــا فعـــل أســـيرك البارحة؟!**) فقال: قلت يا رسول الله ! شكى حاجةً شديدة وعيالاً ، فرحمتُـــه فخليتُ سبيله. فقال **e** : (**أما إنه قد كذبك وسيعود**) قـــال أبـــو هريـــرة: (فعلمت أنه سيعود لأن النبي **e** قال: (**إنه سيعود**). قال: فرصدتُهُ ، فجـــاء يحثو من الطعام). ـــ مرة ثانية ـــ فحدَثَ كما حدث في المرة الأولى ، فجـــاء يحثو في المرة الثالثة. قال: (فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله **e**). فقال: (دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها) كلماتٌ تساوي الـــدنيا كلـــها عنـــد الصحابة ، (قال الراوي: وكانوا أحرص الناس على الخير). لو أن إنساناً أخطأ في زماننا هذا في حق آخر وقال له: أعلمك كلمات ينفعك الله سبحانه وتعالى بها! لقال له الآخر: لا أريد منك كلاماً. نعم لا يريد كلاماً ولو كان قرآنـــاً أو سنة !!، وإنما يريد مالاً ، يريد شيئاً مادياً محسوساً ، ما نقتنع إلا بالدنيا ، ولكن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً كانوا يقنعون بذكر الله ، لأنهم يعرفون قدره ، ويعرفون أنه أعظم شيء في هذه الحياة ، وأعظم شيء في الآخرة ، وهو

الذي عليه مدار هذه الحياة كلها ــ قال: (دعني أعلمك كلمات ينفعــك الله بها) ، قال: ماهي ؟ قال: (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ}) تختم بها يومك عند النوم: وهو الموتة الصغرى (فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح). لن يزال عليك من الله حافظ من الملائكة ؛ مَلَكٌ يحفظك بأمر الله إذا قرأتها على نفسك أو على أبنائك أو على أهلك ؛ فالله U يوكل بكل واحد ملَكاً يحفظهم ، ولا يقــربهم شيطان.

(لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تــصبح) قــال: (فخليت سبيله)؛ لأن ما أخذه منه أبو هريرة يعتبر غنيمــة كــبيرة تــساوي الملايين ، ولكننا في هذا الزمان أصبح هذا العلم ، وهذا الدين ؛ ليس له هــذه المكانة ، ولذلك أصبحنا نحن المسلمين أيضاً ليست لنا مكانة ، لأننا ما عرفنــا قدر كتاب ربنا ، ولا سنة رسولنا e ، ولا عظَّمنا شعائر الله ، والقرآن مــن شعائر الله: {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ}(١).

وفي الصباح سأل النبي e أبا هريرة t : (**ما فعل أسيرك البارحــة ؟**) قال أبو هريرة t : (قلت يا رسول الله ! زعم أنه يعلمني كلمات يــنفعني الله بها، فخليت سبيله) قال e: (**وما هي ؟**) قال: ({ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ} حتى أختمها ، ولن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح) ، فقال النبي e: (**أما أنه صدقك وهو كذوب ، أتدري يا أبا هريرة**

(١) سورة الحج آية [٣٢].

مع من تتكلم منذ ثلاثة ليال ؟) فقال: (لا يا رسول الله). قـال: (**ذلـك الشيطان**)[1].

وقوله: (**صدقك وهو كذوبٌ**) تأكيد من رسول الله e ، أن المسلم إذا قرأ هذه الآية عند نومه لا يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقربه شـيطان حـتى يصبح.

وفي رواية قال: (أرسلني وأعلمك آية من كتاب الله ، لا تضعها على مال ولا على ولدٍ فيقربك شيطان أبداً).

إذاً: المسلم يقرأ هذه الآية على نفسه ، وعلى أولاده ، يحافظ عليهـا ، لا يتركها أبداً ، ولو دَرَّب المسلم نفسه على قراءتها لحافظ عليها.

وأيضاً يختم المسلم بها حياته ، فهذا هو السعيد ، وهذا هو المُوَفَّق ، وهذا هو الذي يفوز بالجنة إذا وُفِّقَ لأن يكون وداعه من هذه الحياة بعد أن يقرأ هذه الآية الكريمة العظيمة.

فعن أبي أُمَامَة t ، أن النبي e قال: (**من قرأ آية الكرسي دبر كـل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**)[2].

ليس بينه وبين الجنة حاجز ولا مانع ولا عائق إلا الموت ، فـإذا حـدث الموت دخل الجنة ببركة قراءة هذه الآية ، ولكن من ذا الذي يُدركُها وهـو لا

---

(١) رواه البخاري (٢٣١١) في >الوكالة< ، معلقاً بصيغة الجزم ، وفي بدأ الخلـق (٣٢٧٥) ، وفي >فضائل القرآن< (٥٠١٠) وانظر >الفتح< (٤ / ٥٦٨ – ٥٧١).

(٢) رواه النسائي في >السنن الكبرى< (٩٨٤٨) والطبراني في >الكبير< ، و>الأوسط< (٨٠٦٨) ، وقال الإمام المنذري في >الترغيب< (٢٣٧٣): وقال شيخنا أبو الحـسن: هـو علـى شـرط البخاري. ا.هـ.

يعلم متى يموت ؟!، ومتى سيلقي الله تبارك وتعالى ؟!، قد يقرؤها في صـــلاة ، ويغفل عنها في صلاة ؛ وتكون تلك الصلاة هي الأخيرة ، لا يدري ؟! لكن من واظب عليها ، وحافظ عليها ، وتذكر هذا الحديث وهو عند كل صلاة يقرؤها بعد الصلاة ، وهو متيقنٌ في قلبه وفي نفسه أن لها هذا الأجر العظـــيم ، وهـــذا الثواب الكبير ، وأنه إذا قرأها وجاء أجل الله دخل الجنة بـــإذن الله ســـبحانه وتعالى. وهذا فيه تذكير للمؤمن كلَّ ما صلى صلاةً ؛ هذه الصلاة التي امتدحها القرآن الكـــريم: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}(١)؛ بعد كل صلاة يؤديها ؛ أن يقرأ هذه الآية الكريمة ، فلعله يلقى وجه الله مستعداً متهيئاً بما علَّمهُ رسول الله e ، ليس خائفـــاً ، ولا وَجِلاً من لقاء رب العالمين ، فإذا كان نصيبه أن يلقى وجه الله تبارك وتعالى بعد تلك الصلاة التي قرأ فيها آية الكرسي ، لم يكن بينه وبين الجنة إلا أن يغرغر ، وتخرج تلك الروح ، ويدخل في جنات النعيم ، وفي رحمة رب العالمين تبـــارك وتعالى.

هذه الآية العظيمة في تلك السورة العظيمة ؟ سورة البقرة ، تحتاج منا إلى عناية وإلى محافظة ، وإلى أن نَعَضَّ عليها بالنواجذ ، ونعلمها أبناءَنـــا وأهلنـــا ، ونسألهم كل يوم ، ونتابعهم كل يوم ، فإن من فعل ذلك فقد خـــتم صـــلاته ويومه وحياته بما يرضي الله تبارك وتعالى ، وكان عاقبة أمره إلى جنة عرضـــها السماوات والأرض أعدت للمتقين ، بإذن الله تبارك وتعالى.

(١) سورة البقرة آية [٤٥ - ٤٦].

فضل كلمة التوحيد

قال الله U: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ} ونبدأ الحديث في هـذه الآية ، بالحديث عن كلمة التوحيد ، التي ابتدأ الله بها تبارك وتعالى هذه الآيـة العظيمة ، وابتدأها بلفظ الجلالة {ٱللَّهُ}، وقد بَيَّنَّا عند تفسيرنا لسورة الفاتحة ؛ بيّنا معنى هذا الاسم العظيم ، وذكرنا أن الراجح عند أهل العلم: أنه هو الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى ، وبيَّنَّا ما جاء في معناه من أقوال أهل العلم جزاهم الله خير الجزاء(١).

ولأن هذه أفضل آيةٍ في القرآن ابتدأت بكلمة التوحيد ، وابتدأت بلفـظ الجلالة الذي هو من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى ، ويرجى أن يكون الاسـم الأعظم لله تبارك وتعالى.

{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ}، {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}: هذه الكلمة هي كلمة التوحيد المباركة، التي لأجلها أرسل الله الرسل، ولأجلها أُنزلتِ الكُتب، وشُرِعتِ الشرائع ، وقُسِّمَ الناسُ لأجلها أيضاً إلى فريقين {فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ}(٢) كل ذلك بسبب هذه الكلمة العظيمة ، ومعناها باختصار شديد:

---

(١) انظر: >تأملات في سورة الفاتحة< صـ(١٧ – ٢٣) ط (١) نور المكتبات.

(٢) سورة الشورى آية [٧].

لا معبود بحقٍ إلا الله ، المعبودون من دون الله بالباطل كُثُر ، ولكنهم معبـــودون بالباطل ، وليسوا معبودين بالحق ، والذي يعبد بالحق هو الله تبـــارك وتعـــالى وحده.

فهذا هو معنى {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} ؛ أي: لا يستحق العبـــادة بحـــق إلا الله وحده. والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقـــوال والأفعـــال الظاهرة والخفية.

{لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} هذه الكلمة جاءت في القرآن العظيم ، وأشار إليهـــا القرآن إشارات عديدة ، ومن تلك الإشارات:

أنها الكلمة الطيبة؛ في قوله U: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }[1] والشجرة الطيبة هي: النخلة ، والكلمة الطيبة هي: {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} .

وهي القول الثابـــت ؛ في قولـــه U: {يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ}[2].

وهي الكلمة الباقيـــة ، قـــال U: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[3].

---

(١) سورة إبراهيم آية [٢٤ - ٢٥].

(٢) سورة إبراهيم آية [٢٧].

(٣) سورة الزخرف آية [٢٨].

وهي المثل الأعلى ، قـــال U: {وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}(١) فالمثل الأعلى هو: {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} .

وهي كلمة العهد ، كما قال U: {لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا}(٢).

وهـــي الكلمـــة العليـــا ، قـــال U: {وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلۡعُلۡيَاۗ}(٣) كما بين ذلك المفسرون.

وهناك غيرها من آيات الله تبارك وتعالى التي أشارت إلى عظـــم وجـــلال هذه الكلمة المباركة: {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} .

وقد أثنى نبي الهدى e على قائلها ، وعلى المكثر منها ، وعلى المتقـــرب إلى الله والمتعبد لله بهذه الكلمة.

روى البخاري عن أبي هريرة t قال: قلت يا رسول الله ! مـــن أســـعد الناس بحسن شفاعتك يوم القيامة ؟ فقال e: **(لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو من نفسه)**(٤).

---

(١) سورة الروم آية [٢٧].

(٢) سورة مريم آية [٨٧].

(٣) سورة التوبة آية [٤٠].

(٤) رواه البخاري (٩٩).

إذا خرجت كلمة التوحيد من قلب المسلم، ومن نفسِ المسلم خالصةً لله، لا رياء فيها ولا سمعة ، كانت سبباً في شفاعة النبي e لصاحبها يوم القيامة {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}(١).

وهي الكلمة التي تُفتح لها أبواب السماء ؛ عندما يقولها القائل يفتح الله لها أبواب السماء ؛ ففي الحديث الحسن عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (**ما قال عبد {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} قَطُّ مخلصاً ، إلا فُتِحَتْ له أبواب السماءِ حتى يفضِيَ إلى العرش ، ما اجتُنِبَتْ الكبائر**)(٢).

إنَّ هذه الكلمة المباركة ترتفع وترتفع وترتفع ؛ حتى تصل إلى ذلك المقام العلي العظيم الرفيع، ما اجتُنِبَتْ الكبائر، فإذا أردت أن تُفتَح لها أبواب السماء، ويستجاب لك معها الدعاء، فاجتنب الكبائر، وأخلص بهذه الكلمة من قلبك، تفتح لها أبواب السماء ، ويستجاب لك معها الدعاء.

وهي أول شعب الإيمان وأعلاها وأفضلها كما في حديث أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (**الإيمان بضع وستون** ــ أو بضع وسبعون ــ **شعبة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وأرفعها قول: لا إله إلا الله**)(٣).

وهذه الكلمة هي أفضل الذكر لله تبارك وتعالى ، فعن جابرٍ t عن النبي e أنه قال: (**أفضل الذكر: {لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ} ، وأفضل الدعاء: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ}**)(٤).

---

(١) سورة الشعراء آية [٨٨ - ٨٩].

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٨٠٠)، وابن حبان (٨٤٣)، والحاكم (١/ ٤٩٨)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وهي من الباقيات الصالحات: (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) بل هي أفضل الباقيات الصالحات ؛ لأنها أفضل الذكر كما قال e .

وبهذه الكلمة يتجدد الإيمان ويتجدد الإسلام ، كلما ذكرت الكلمة الأولى التي هي باب الإسلام ؛ لا يدخل أحدٌ الإسلام إلا من باب (لا إله إلا الله) ؛ جاء في الحديث عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : **(جَدِّدوا إيمانكم)** قالوا: يا رسول الله ! وكيف نجدد إيماننا ؟ قال: **(أكثروا من قول: لا إله إلا الله)** [1].

إذاً الإكثار من قول لا إله إلا الله تجديد للإيمان ، الذي نحن في أمس الحاجة إلى أن نجدده ونقويه ، حتى نزداد إخلاصاً في عبادتنا ، في صلاتنا ، في صيامنا ، في كل طاعةٍ نتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

وبهذه الكلمة تغفر الذنوب ؛ جاء في الحديث الحسن عن شداد بن أوسٍ t قال: كنا عند النبي e فقال: **(هل فيكم غريب ؟)** ــ يعني من أهل الكتاب ــ فقلنا: لا يا رسول الله. فأمر عليه الصلاة والسلام بغلق الباب ، ثم قال: **(ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله)** فرفعنا أيدينا ساعةً ، ثم قال: **(الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، إنك لا تخلف الميعاد)** ثم قال: **(أبشروا فإن الله قد غفر لكم)**[2].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٥٩) والطبراني. وقال المنذري في "الترغيب" (٢٢٦٠): وإسناد أحمد حسن.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٢٤) ، وقال المنذري في "الترغيب" (٢٢٥٩): إسناده حسن.

فحري بالمسلم أن يتمسك بهذه الكلمة ، وحري بـــه أن يكررهـــا ، وأن يكثر منها ، ومن ختم الله **U** له حياته بها دخل الجنة ، كما قـــال الـــنبي **e**: **(من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله ، دخل الجنة)** (١).

وهي في أول آية الكرسي، ولذلك من قرأها دبر الصلاة المكتوبة، وكانت آخر صلاة له دخل الجنة؛ لأنها متضمنة لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فمـــن نسي أن يقولها بعد الصلاة الأخيرة التي يلقى بها وجه ربه ، وذكر (لا إلـــه إلا الله) عند موته فإن الله تبارك وتعالى يكرمه بها.

وهي خَيرٌ من الدنيا وما عليها إن قالها المسلم مائة مرة ؛ ففي الحديث عن أم هانئ رضي الله عنها ، أن النبي **e** قال لها في حديث طويل: **(... وهللـــي الله مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض ، ولا يُرفَعُ يومَئذ لأحـــد عمـــلٌ أفضلُ مما يُرفَعُ لك إلا أن يأتيَ بمثل ما أتيت)** (٢) وفي رواية: **(قولي: لا إله إلا الله مائة مرة ، فهو خير لك من ما أطبقت عليه السماء والأرض)** (٣) أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

---

(١) رواه أبو داود (٣١١٦) في الجنائز، باب التلقين من حديث معاذ بن جبل **t** ، ورواه الحاكم في >المستدرك< (١/ ٣٥١) وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الحاكم (١/ ٧٢) بلفظ آخر: (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ حقاً من قلبه فيموتُ على ذلك إلا حُرِّمَ على النار: (لا إلـــه إلا الله). وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

(٢) رواه أحمد (٦ / ٣٤٤) وقال المنذري في >الترغيب< (٢٢٩٧): إسناده حسن.

(٣) رواه الطبراني في >الأوسط< وقال المنذري في >الترغيب< (٢٢٩٧): إسناده حسن.

فإذاً هذه الكلمة خيرٌ من الدنيا وما عليها ، أفضل مما أطبقت عليه السماوات والأرض ، إذاً هي أفضل من الدنيا وما عليها ، كلمةٌ واحدةٌ أفضل من الدنيا وما فيها.

ولكن لهذه الكلمة مقتضياتٌ ، فلا يقول المسلم: (لا إله إلا الله) ولا يعلم أن لها مقتضيات وفرائض وواجبات يجب عليه أن يقولها ، وأن يفعلها ، وأن يلتزم بها ، لأن الإيمان تصديقٌ بالجنان ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان ، لا تفريق بين الإيمان بالقلب والعمل بالجوارح ، فلا يقول المؤمن: (لا إله إلا الله) إلا وهو مدركٌ أنه لا معبود بحق إلا الله ، وأن الفرائض واجبةٌ عليه فيؤديها لله ، وأن هذا الشرع الذي شرعه الله تبارك وتعالى فيه خيرٌ له فيلتزم بتعاليمه مُخلصاً لله تبارك وتعالى.

شهادة أن (لا إله إلا الله)

يتواصل الكلام عن شهادة (لا إله إلا الله) ، وفيها تأكيد على التوحيد ، وكلمة الشهادة بمعنى: العلم واليقين ، فعندما يقول المسلم: أشهد أن لا إلـــه إلا الله ، أي: أعلم علم اليقين أنه لا إله إلا الله ؛ فلذلك كانت الشهادة مسئولية ، ولذلك كانت سبباً في دخول الإسلام ، ليتحمل العبد الذي يـــدخل في هـــذا الدين يتحمل المسئولية ، ولأنها تقتضي مقتضيات ، يجب على من قالها أن يلتزم بها.

فلذلك لم يقلها المشركون في مكة ، رغم أنها مجرد كلمة ؛ لـــو قالوهـــا لدفعوا عن أنفسهم أموراً كثيرة ، ولكنهم عرفوا أن هذه الـــشهادة ، ومعهـــا شهادة أن محمداً رسول الله e ؛ معناها: العمل بالإسلام ، معناهـــا: المحافظـــة على الصلاة ، وعلى فرائض الدين ، وترك الكبائر والمحرمات ، فيجـــب علـــى المسلم أن يفهم ذلك ، وأن يعرف أن هذه الكلمة لها مقتضياتها.

فلذلك كانت الشهادتان الركن الأول من أركـــان الإســـلام كمـــا في الحديث: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة...)** [1].

(١) رواه البخاري (٨) ، ومسلم (٤٥) من حديث عبد الله بن عمر وغيره.

يقول الله تبارك وتعالى مُبيِّناً عِظَمَ هذه الشهادة ، وفضلها ، وأهميتها ؛ وهي أعظم شهادة في القرآن: {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} ؛ الله تبارك وتعالى يشهد بهذه الكلمة ، ولذلك كانت هذه الشهادة أعظم شهادة: { شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }(١).

وشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي شهادة أن محمداً رسول الله ، لأن شهادة أن لا إله إلا الله معناها: لا معبود بحقٍ إلا الله؛ وماهي العبادة ؟ وكيف نعرفها ؟ إنما نعرفها من رسول الله e ، فلا عبادة مقبولة إلا ما جاء بها محمد e ؛ فلا بد أيضاً من قول: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله.

ذكر ابن كثيرٍ في تفسير قوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}: ما رواه أبو نعيم في >دلائل النبوة< عن أنس t ، أن النبي e قال: (**لما فرغتُ مما أمرني به ربي من أمر السماوات والأرض** ــ يعني في الإسراء والمعراج ــ **قلت: يا رب ! إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كَرَّمتَه** ــ جعلتَ له كرامة ــ **جعلتَ إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، وسخَّرتَ لداوودَ الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييتَ لعيسى الموتى ، فما جعلتَ لي ؟ فقال الله تبارك وتعالى: أوَ لَيس قد أعطيتُك أفضل من ذلك كله ، أني لا أُذكَر إلا وذُكرتَ معي ،** ــ لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ ننطق بها في الشهادتين في الأذان ، في مشارق الأرض ومغاربها ، في بلاد المسلمين كلها ، ثم قال له أيضاً ــ **وجعلت**

(١) سورة آل عمران آية [١٨].

صدور أمتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً، ولم أُعطِها أمة ــ حفظ القــرآن خاصٌ بالمسلمين ولا أمة من الأمم، لا إنجيل، ولا زبور، ولا توراة، ولا صحف إبراهيم، ولا صحف موسى، لم يجعل لها الله U ما جعل للقرآنــ، **وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي؛ لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)**(١).

وروى البخاري عن أنسٍ t أن النبي e ومُعاذٌ رَدِيفُه على الرحل قال له e: **(يا معاذ بن جبل !)** قلتُ: لبيك يا رسول الله وسعديك. ثلاثاً. فقال e: **(ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه إلا حَرَّمه الله على النار)** قلت: يا رسول الله أفــلا أخــبر بــه النــاس فيستبشروا ؟ــ بشرى عظيمةــ فقال e: **(إذاً يتكِلوا)** (٢) يتــرك العمــل ويتكل على هذه الكلمة، ثم أخبر بها معاذ قبل موته خوفاً من الإثم، لأن هــذا علماً سمعه خشي أن لا يبلغه فيأثم.

قال العلماء في هذا الحديث وأمثاله: التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض ويترك الكبائر، فإن لم يأتِ بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر، لم ينفعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول الجنة والخروج من النار.

إذاً كما ذكرنا: أن كلمة التوحيد، كلمة الشهادة؛ لها مقتضى، لذلك إذا أراد الإنسان أن يدخل في الإسلام بعد تمحيص وتفكير ودراسة واقتنــاع، يدخل في الإسلام بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ليس هــذا

---

(١) تفسير ابن كثير ص (٣٨٠٦) ج ٨ ط. ابن حزم، والحديث في الدر المنثور (٨ / ٥٤٩).

(٢) رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

فقط هو الإسلام ، بل هي إعلام بقبول هذا الإسلام والالتزام بشرائع هذا الدين العظيم.

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله e قال: (**إن الله يستخلصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة**) يخرجه من بين الصفوف المتلاطمة من البشر على (**رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعةً وتسعين سِجِلاًّ**) من الأعمال والمعاصي (**كلُّ سِجِلٍّ مِثلُ مد البَصَر. فيقول الله له تبارك وتعالى: أتُنكِر من هذا شيئاً ؟**) مُسَجَّلَةٌ بالصور ، بالكتابة ، بالتواريخ ، بالمواعيد ، بكل شيء (**أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يارب ، فيقول الله U: أفلك عذرٌ ؟**) دافع عن نفسك ؛ ألك عذرٌ أو حجة ؟! (**فيقول: لا يارب ، فيقول الله U: إن لك عندنا حسنة**) حسنة واحدة !! ، ولكنها حسنة عظيمة (**إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتُخرجَ بطاقةٌ مكتوبٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: احضُرْ وَزْنَك. فيقول: ياربِّ وما هذه البطاقة مع هذه السِّجِلات ؟!**) ورقة واحدة مع سِجِلاتٍ مَدِّ البصر ؛ تسعةً وتسعين (**فيقول الله له تبارك وتعالى: فإنك لا تُظلَم ، فتُوضَعُ السِّجلاَّتُ في كفَّةٍ ، والبطاقةُ في كِفَّةٍ فطاشَت ، السَّجلاتُ ، وثقلت البطاقةُ ، فلا يَثقُلُ مع اسم الله تبارك وتعالى شيء**)[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وقال حديث حسن غريب. وابن ماجة (٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٦) وقال: صحيح على شرط مسلم.

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسـول الله ، كلمـة تكررهـا وتكررها لتتذكر نعمة الإسلام ، لتتذكر نعمة التوحيـد ، فتـرى أن الله U تفضلَ عليك بأعظم نعمة ، تفضل الله U عليك أن جعلك مسلماً و لم يجعلك بوذياً تسجد للأصنام ، ولا هندوسياً تسجد للبقر ، ولا نصرانياً تعبد عيـسى ، ولا يهودياً تعبد عزيراً ؛ وإنما اصطفاك من بين البلايين من النـاس ؛ اختـارك واصطفاك على مدى الأزمان ، لتكون مسلماً موحداً ، فأي نعمةٍ أعظم مـن هذه النعمة التي أكرمك الله بها ؟!.

ولذلك جاء في الحديث الحسن عن أبي هريرة t قال: قال رسـول الله e : **(أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينـها)**(١) إذاً يكثر بها المسلم قبل أن لا يتحرك هذا اللسان فلا يمكنه عندها أن يتلفظ بها.

وتستحب الشهادة في أوقاتٍ وأماكن معينة وفاضلة ، نختصر منها مـا يلي:

ما جاء في الحديث الحسن ؛ في دعاء الصباح والمساء ، عن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله e : **(من قال حين يُصبح أو حين يُمسي: اللهم إني أصبحتُ** ــ أو أمسيت ــ **أُشهدُك ، وأُشهدُ حملةَ عرشـك ، وملائكتـك ، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسـولك ، أعتق الله رُبُعه من النار ، فإن قالها مرتين ،أعتق الله نصفه من النار ، فإن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار)**(٢).

---

(١) قال المنذري في >الترغيب< (٢٢٦٣): رواه أبو يعلى بإسنادٍ جيد قوي.

(٢) رواه أبو داوود (٥٠٦٩) ، والترمذي (٣٤٩٥). وقال محقق >جامع الأصول<: حديث حسن بشواهده.

وروى مسلم عن عمر بن الخطاب t ، عن النبي e قال: (**ما منكم من أحدٍ يتوضأُ فيُسبغُ الوضوءَ** ــ يكمل الوضوءَ ــ **ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**)[1] كلمة الشهادة ؛ كيف لا تفتح لها أبواب الجنان ؟! وكيف لا يعتق صاحبها من النار ؟! وهي تتضمن توحيد الباري U والإقرار بنبوة محمدٍ e .

وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص t عن رسول الله e أنه قال: (**من قال حين يسمع المؤذن** ــ بعد أن ينتهي من الأذان ــ: **وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ e رسولاً ؛ غفر الله له ذنوبه**)[2].

وأخيراً دعاء ختام المجلس ففي الحديث الصحيح: (**من جلس مجلساً كَثُرَ فيه لغطُهُ** ــ كثرت فيه أخطاؤه ــ ، **فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوبُ إليك ، إلا غُفِر له ما كان في مجلسه ذلك**)[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٤).

(٢) رواه مسلم (٣٨٦).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٣٣) وقال: حديث حسن صحيح.

قوله تعالى:

{ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ }

قـــال الله تعـــالى: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ} و {ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ} وردت هذه اللفظة في كتاب الله تبارك وتعالى في ثلاثـــة مواضـــع في القـــرآن العظيم؛ جاء عن أبي أمامة ، t قال: قال رسول الله e: (**إن اســـم الله U الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى في ثلاث ســـور مـــن كتاب الله ، في سورة البقرة وآل عمران وطه**) [(١)].

أما سورة البقرة فهي في أول آية الكرســـي: {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ} ، وأما في آل عمران ففي أول السورة: {الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ} ، وأما في سورة طه فهي في قولـــه U: {۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمًا ١١١} .

وروى الترمذي عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ؛ أن النبي e قـــال: (**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** {وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ} ، **وفاتحة سورة آل عمران:** {الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ})[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٦ / ٤٦١) رقم (٢٧٦١١) وقال محققو المسند: إسناده ضعيف، والحـــديث رواه الطبراني في >الأوسط< (٨٣٧١)، والحاكم (١/ ٥٠٦)، وابـــن ماجـــه (٣٨٥٦)، وقـــال البوصيري في >مصباح الزجاجة< (١٣٥٢) بعد أن أورده موقوفاً ومرفوعاً: رجـــال الموقـــوف ثقات، وأما المرفوع ففيه غيلان؛ لم أرَ فيه كلاماً. ا.هـــ.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٨) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود (١٤٩٦)، وابن ماجه (٣٨٥٥).

وعن أنس بن مالك t أنه كان مع رسول الله e جالساً ، ورجلٌ يصلي[1] ، ثم دعا: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت ، يا حنان ، يا منان ، يا بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم). فقال رسول الله e : (**لقد دعا الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى**)[2] إذاً مجموع هذه الروايات تبين أن مما يترجح أنه اسم الله الأعظم: اسم {ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أعظم الأسماء لله U الحي القيوم. قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: (وأما قوله {ٱلْحَيُّ} فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة ، والبقاء الذي لا أول له بِحَدّ ، ولا آخر له بأمد ؛ إذ كل ما سواه وإن كان حَيّاً فلحياته أولٌ محدود ، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها[3].

وقال ابن كثير رحمه الله: ({ٱلْحَيُّ} أي: الحي في نفسه ، الذي لا يموت أبداً) [4].

ومن هنا تأتي عظمة هذا الاسم، وجلال هذا الاسم الكريم المبارك ، وهذا كما قال الله U: {وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ}[5]، ومن هنا تأتي عظمة حياة الله تبارك وتعالى ؛ إنها حياة ليس فيها موت.

---

(١) هو أبو عيَّاش زيد ين الصامت الزُّرقي t .

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٠) ، وابن حبان (٨٩٣) ، وابن ماجه (٣٨٥٨) ، والحاكم (١ / ٥٠٤) وقال: صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٢٧) ط. هجر.

(٤) تفسير ابن كثير (٢ / ٦٢٣) ط. ابن حزم.

(٥) سورة الفرقان آية [٥٦].

وقال تعالى عن نفسه: {هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ}(١) فهو كما قال العلماء: اسم من أسماء الله الحسنى ، وفرق بين حياة الله وحياة الخلق.

قال الشيخ محمد رشيد رضا في >تفسير المنار<: (إن حياة الله تعالى ذاتية وحياة الإنسان من الله تعالى ، وإن حياة الله تعالى أزلية ــ يعني قديمة ــ وحياة الإنسان حادثة، أن حياة الله تعالى لا تفارقه، وحياة الإنسان تفارقه حين يموت ، وإن حياة الله تعالى هي التي تفيض الحياة على كل حي ، وحياة الإنسان خاصة به ، وكذلك العلم ، والتدبير ، والإرادة ، كل ذلك ناقص في الإنسان ، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن النقص ، وإليه ينتهي الكمال المطلق في ذاته وصفاته تبارك وتعالى)(٢).

بل إن الله تبارك وتعالى هو الذي يحيي ويميت كما جاء في القرآن العظيم {وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}(٣) ، وقال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(٤) فالحياة حادثة للإنسان ؛ كنا أمواتاً وأصبحنا أحياءً بأمر الله وقدرته ؛ فكيف نُقَصِّر في جنب الله تبارك وتعالى ؟!.

---

(١) سورة غافر آية [٦٥].

(٢) >تفسير المنار< (٣/ ٢٨) بتصرف يسير.

(٣) سورة الحج آية [٦٦].

(٤) سورة البقرة آية [٢٨].

بل إن الله أحيانا نحن المسلمين المؤمنين حياةً أخرى غير حياة الدم والحركة والجسد التي نشترك فيها مع كل المخلوقات ؛ فكلها بقلبٍ وبـــدمٍ، وبعـــصبٍ وبحركة ؛ لكن الله أحيانا حياةً أخرى ؛ قال U: {أَوَ مَن كَانَ مَيْـتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ}[1] إذاً نحن المسلمين إذا عرفنا الله U ، وَأَدَّينا مَا أَمَرَنا تبارك وتعالى به ، واجتنبنا ما نهانا الله عنه ، فنحن أحياء ؛ وبقية البشر أموات ، أحيانا بالقرآن ، أحيانا بالإيمان ، أحيانا بالدين ؛ فهذه حياتان.

وقـــال تعـــالى: {ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}[2] فالحياة ليست صحة الجسد فقط ، بل الحياة أيضاً صحة الروح والقلب، والدين والإيمان.

وسمى هذه الدنيا حياة وسمى الآخرة حياة ، فهنا حياة وهنـــاك حيـــاة ، ولكن شَتَّان بين الحياتين ، شتان بين هذه الحياة الفانية وبين تلك الباقية ؛ قـــال الله تبـــارك وتعـــالى: {أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}[3] وقال عن الحياة الآخـــرة: {وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ}[4] يعني حياتان وليست واحدة.

فالحي من أسماء الله الحسنى ؛ حياة الدنيا كلها من هذا الاسم ، ومن حياة الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة الأنعام آية [١٢٢].

(٢) سورة الأنفال آية [٢٤].

(٣) سورة التوبة آية [٣٨].

(٤) سورة العنكبوت آية [٦٤].

وقـــال U: {مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً}[1] ؛ حتى الحياة الدنيا ، القصيرة الفانية ، إذا أردهما طيبةً مباركة ، فَسِرْ على منهج الله تكن حياتك طيبة سعيدة ، وفي الآخرة تكون الحياة الأبدية حياة طيبة بإذن الله تبارك وتعالى ، مع صلاح العمل.

قال القرطبي رحمه الله: ({ٱلْحَىُّ} اسم من أسماء الله الحسنى يُسَمَّى بـــه ، ويقال: إن عيسى بن مريم كان إذا أراد أن يحي الموتى يدعو بهذا الدعاء (يـــا حي يا قيوم) ويقال: إن آصف بن بَرْخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقـــيس مـــن اليمن إلى سليمان دعا بهذا الدعاء (ياحي يا قيوم) و {ٱلْقَيُّومُ}: القائم بتدبير ما خلق)[2].

حي لا يموت ، يدبر ويتصرف ، ويحفظ خلقه تبارك وتعالى ، وهو قـــائم ليس على البشر وحدهم ، ولا على الملائكة فقط ، ولا على الجن فحسب ، بل قائم على كل شيء ؛ قـــال جـــل وعـــلا: {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ}[3] (قال الحسن: معناه القائم على كل نفسٍ بما كسبت حتى يجازيها بعملها ، من حيث هو عالم بها لا يخفى عليه شيءٌ منها. وقال ابن عباسٍ: معناه الذي لا يحول ولا يزول)[4].

---

(١) سورة النحل آية [٩٧].

(٢) >تفسير القرطبي< (٣ / ١٧٦) ط. دار الكتب المصرية.

(٣) سورة الرعد آية [٣٣].

(٤) >تفسير القرطبي< (٣ / ١٧٧).

وقال ابن القيِّم رحمه الله: {ٱلۡقَيُّومُۚ} القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه ، وهذا من كمال غناه بنفسه عمَّا سواه ، وهو المقيمُ لغيره ؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته) [١].

هذه بعض معاني هاتين الكلمتين العظيمتين: {ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ}.

وعن أنس بن مالك t قال: قال رسول الله e لفاطمة رضي الله عنها: **(ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيكِ به ، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتكَ أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)** [٢].

وعن أبي ذر t أن رسول الله e قال: **(من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيءٍ قديرٌ، عشر مراتٍ ، كُتِبَ له عشرُ حسنات ، ومُحِيتْ عنه عشرُ سيئاتٍ ، ورُفِعَ له عشرُ درجاتٍ ، وكان يومَهُ ذلك في حرزٍ من كل مكروه ، وحُرِسَ من الشيطان ، ولم ينبغِ لذنبٍ أن يُدْرِكَهُ في ذلك اليومِ إلا الشركَ بالله تعالى)**[٣] ، هذا كله بهذا الذكر العظيم ، وخصوصاً في الفجر ، وفي رواية بعد المغرب أيضاً.

---

(١) >أسماء الله الحسنى< لابن القيم الجوزية. ص (٢٢٥) ط. دار الكلم الطيب.

(٢) رواه النسائي في >عمل اليوم والليلة< (٥٧٠)، والحاكم (١ / ٥٤٥) وقال: صحيح على شرطهما ، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٤) وقال: حديث حسن غريب صحيح.

يتذكر الإنسان في الصباح: الحياة ؛ أن الله أحياه بعد الموت ، فيقول هذا الدعاء (يحي ويميت) وإذا جاء المغرب قاله مرةً أخرى ليتذكر قرب المـــوت ، والنوم موتة صغرى كما نعلم جميعاً.

وعن عمر بن الخطاب t أن رسول الله e قال: (**من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حـــي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة**) يعني مليون حسنة (**ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة**)[1].

وعن بقية قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم ــ وهو من العلماء الأولياء ــ في البحر ، فهاجت الريح ، واضطربت السفينة ، وبكى الناس ، فقلنا: يــا أبــا إسحاق ما ترى ؟ فقال أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم ــ توجــه إلى الله بهــذا الدعاءــ: يا حي حين لا حي، ويا حي قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي ، ويا حي يا قيوم ، يا محسن يا مجمل ، قد أريتنا قدرتك ، فأرنا عفوك. فهــدأت السفينة من ساعته [2].

قال ابن القيم رحمه الله: (فانتظم هذان الاسمان صفات الكمــال والغــنى التام ، والقدرة التامَّة ، فكأن المستغيث بهما مستغيثٌ بكل اسم من أسماء الرب تبارك وتعالى ، وبكل صفةٍ من صفاته ، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين ؛ أن يكونا في مظنَّة تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات ، وإنالة الطلبات)[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٢٨) وقال: حديث غريب. قال المنذري في >الترغيب< (٢٥٢٣): وإسناده متصلٌ حسن، ورواته ثقات أثبات، وقال الترمذي في رواية له مكان: (ورفع له ألفَ ألفَ درجة) (وبنى له بيتاً في الجنة) ورواه بهذا اللفظ : ابن ماجه ــ (٢٢٣٥)ــ، وابن أبي الدنيا، والحاكم ــ (١ / ٥٣٨) ــ وصححه... ا.هــ.

(٢) >نزهة الفضلاء< (١/ ٥٩٦) .

(٣) >أسماء الله الحسنى< صــ(٢٢٦).

فعند الكرب ، وعند الضيق ، وعند الحاجة ؛ عَوِّد لسانك أن يلهج بهذين الاسمين العظيمين: (يا حي يا قيوم).

وفي الحديث الحسن عن بلال بن يَسار بن زيدٍ t قال: حدثني أبي عن جَدِّي أنه سمع رسولَ الله e يقول: (**من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غُفر له وإن كان فرَّ من الزحفِ**)[1] نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه.

---

(١) رواه أبو داود (١٥١٧)، والترمذي (٣٥٧٧) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال المنذري في >الترغيب< (٢٤١٤): وإسناده جيدٌ مُتَّصِل. ا.هـ.

قوله تعالى:

{ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ }

قوله U {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ} تقدم الحديث عن قوله تعالى {ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ} فتناسب الحديث بعدها مباشرة ؛ {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ} فهو حي لا ينام ، وقيوم لا يغفل ولا ينعس ، كما قال ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: السِنة النعاس[(١)].

وقَدَّم السِنة على النوم لكونها تتقدمه في الوجود ؛ لأن النعاس يأتي قبل النوم (قال الرازي: تقدير الآية: {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٞ} فضلاً عن أن يأخذه نوم. وقال زهير الشاعر:

ولا سِنَةٌ طوال الدهر تأخذه ولا ينام وما في أمره فَنَـدُ

قال الشوكاني رحمه الله: فلو وقع الاقتصار في النظم القرآني على نفي النوم فقط لم يفد نفي السِنة ، فكم من ذي سنة غير نائم) [(٢)].

وقال ابن كثير رحمه الله: ({لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ} أي: لا يعتريه نقصٌ ولا غفلة ولا ذهولٌ عن خلقه ، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يخفى عليه خافية. ومن تمام

---

(١) <تفسير الطبري< (٤ / ٥٣١).

(٢) <فتح القدير< (١ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) بتصرف.

القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم [١].

وفي الصحيح عن أبي موسى t قال: قام فينا رسول الله e بأربع كلمات فقال: (إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفضُ القِسط ويرفعه ، يُرفَعُ إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهه من انتهى إليه بصره من خلقه)[٢].

وقال الشيخ الإمام محمد عبده رحمه الله: (والجملة ــ أي {لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} ــ تأكيد لما قبلها ــ تأكيد لقوله {ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ} ــ مقررة لمعنى الحياة والقيومية على أكمل وجه ، فإن من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة ، وضعيف القيام بنفسه أو على غيره)[٣]، وتعالى U عن ذلك علواً كبيراً.

وقال الشيخ ابن عاشور محمد الطاهر رحمه الله: (ونفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيقٌ لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثباتٌ لكمال العلم ؛ فإن السنة والنوم شبيهان بالموت ، فحياة النائم في حالهما حياةٌ ضعيفة ، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الحس)[٤].

---

(١) "تفسير ابن كثير" (٢ / ٦٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٧٩) في كتاب الإيمان.

(٣) نقلاً عن "تفسير المنار" (٣/ ٣٠) ط. دار المعرفة.

(٤) "التحرير والتنوير" (٢/ ٤٩٤) ط. مؤسسة التاريخ العربي.

ومما يدل على أن النوم ليس بحياة ، وإنما هو موتة صغرى ، مـا جـاء في كلام الله تبارك وتعالى ؛ فإذا كان النوم موتاً والله U قد نفى عن نفسه الموت وأوجب لها الحياة ، فمن باب أولى أن ينفى النوم أيضاً.

قـال U: {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }(١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: (ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة ، بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء ، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل مـن الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان ، والوفاة الصغرى عند المنام ، وكما قـال U: {وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ }(٢) فذكر الوفاتين الصغرى والكبرى ــ ثم قال ابن كـثير رحمـه الله ــ: وفيه دلالة على أنها تجتمع في الملأ الأعلى ــ يعني: أرواح الأمـوات ، وأرواح النائمين ــ ... وقال بعض السلف: تقبض أرواح الأموات إذا مـاتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف.

---

(١) سورة الزمر آية [٤٢].

(٢) سورة الأنعام آية [٦٠ - ٦١].

وفي معنى قوله تعالى: {فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ} قال ابن عباس t : يمسك أنفسَ الأموات ، ويرسل أنفس الأحياء، ولا يغلط. سبحانه وتعالى {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ})[1].

ولذلك نرى أن غالبَ أدعيةِ النوم التي علمنا إياها النبي e تشير إلى ذلك ، وتُوَدِّعُ هذه الحياة ، وتسأل الله U أن يحسنَ الختام ، كما جاء في الحديث الصحيح عن حذيفة t قال: كان رسول الله e إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خَدِّه ثم قال: (**باسمك اللهم أموتُ وأحيا**) وإذا استيقظ قال: (**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**) [2].

فهل نعتبر بهذا النوم الذي نعتبره راحةً وهدوءاً وسكينةً ، وننسى أنه موتةً صغرى ؟!.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e : (**إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفُض فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه** ـ يعني: لا يدري ما وقع على فراشه من هوامٍ أو تراب ـ قال: **ثم يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول** ـ وهذا فيه تشبيه بالميت الذي يوضع في قبره ، فإنه يوضع على خده الأيمن ، وعلى شقه الأيمن ـ: **باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعُهُ ، إن أمسكتَ نفسي فارحمها ، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**)[3].

---

(١) >تفسير ابن كثير< (٧/ ٣٠٤٢) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٣١٤).

(٣) رواه البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) ، والترمذي (٣٣٩١).

وفي روايةٍ الترمذي: (**وإذا استيقظ يقول: الحمد لله الــذي عافــاني في جسدي ، ورد عليَّ روحي ، وأذن لي بذكره**).

وفي صحيح البخاري عن البراء بن عازبٍ t قال: قال رســول الله e: (**إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وُضُوءَك للصلاة ، ثم اضطجع علــى شِــقِّك الأيمن ، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهــت وجهــي إليــك ، وفوضتُ أمري إليك ، وألجأتُ ظهري إليك ،لا ملجأ ولا منجــا منــك إلا إليك ، آمنت بكتابِك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، رغبــةً ورهبــةً إليك ، فإن مِتَّ مِن ليلتِكَ ، فأنتَ على الفطرة ، واجعلهُنَّ آخر ما تتكلَّمُ به**) قال: فردَّدها على النبي e ، فلمَّا بلغتُ: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلــت ، قلتُ: ورسُولك ، قال: (**لا ، ونبيِّك الذي أرسلت**)[١]. إذاً الــدعاء يحفــظ بحذافيره ، من غير زيادةٍ ولا نقصان.

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: (اللهم خلقت نفسي وأنتَ توفَّاها ، لك مماتُها ومَحياها ، إن أحييتَها فاحفظها ، وإن أمتَّها فاغفر لها ، اللهم إني أسألك العافية) فقال له رجلٌ: أسمعتَ هذا من عمر ؟ فقال: سمعته من خيرٍ من عمر ، من رسول الله e [٢].

وفي الحديث الحسن عن حفصة بنت عمر رضي الله عنهما قالت: كــان رسول الله e إذا أراد أن يرقد ، وضعَ يدَه اليمنى تحت خَدِّه ، وقال: (**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**) ثلاث مرات [٣].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧) ، ومسلم (٢٧١٠).
(٢) رواه مسلم (٢٧١٢).
(٣) رواه أبو داود (٥٠٤٥) في >الأدب< ، باب: ما يُقال عند النوم ، وقال محقق >جامع الأصــول< (٤/ ٢٧١): وهو حديث صحيح.

فقد يكون هذا النوم بعده الموت ، ولقاء رب العالمين ، والبعث والنشور ، ومن مات قامت قيامته ، فلذلك يكون الدعاء بالنجاة من أعظم الأهوال بعده ، وهي أهوال يوم القيامة.

وأخيراً جاء في الحديث الحسن عن أبي سعيد الخدري **t** ، عن النبي **e** قال: **(من قال حين يأوي إلى فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحـــيُّ القيومُ وأتوبُ إليه ، ثلاث مرات غُفرت له ذنوُبُه وإن كانـــت عـــدد ورق الشجر ، وإن كانت عدد رملِ عالج ، وإن كانت عدد أيـــام الـــدنيا)** [١] فلنحرص على هذه الأدعية عند النوم ، فلعلنا ننام ولا نستيقظ ، ولعلنـــا ننـــام ونستيقظ في طاعة الله ، وفي مرضاة الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٩٤) في >الدعوات< ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

قوله تعالى:

{ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ }

يقول الله U: {لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ} قال ابن جرير الطبري رحمه الله تبارك تعالى: (يعني جل ثناؤه أنه مالك الجميع بـــدون شـــريك ولا نديد ، وخالق جميعه دون آلهةٍ ومعبود ، وإنما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبـــادة لشيءٍ سواه ، لأن المملوك إنما هو طوعُ يد مالكه ، وليس له خِدمةُ غـــيره إلا بأمره)[١]. ويؤيد هذا آياتٌ كثيرة ؛ منها قوله تعالى: {أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ}[٢]، وفي آية أخرى: {لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ}[٣].

وقال الحافظ ابن كثير رحمـــه الله: ({لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ} إخبار بأن الجميع عبيده وملكه ، وتحت قهره وسلطانه ؛ كقوله تعـــالى: {إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا}[٤].

(١) >تفسير الطبري< (٤/ ٥٣٤).
(٢) سورة البقرة آية [١٠٧]، وسورة المائدة آية [٤٠].
(٣) سورة البقرة آية [٢٥٥].
(٤) >تفسير ابن كثير< (٢ / ٦٤٢) ، والآيات من سورة مريم [٩٣ – ٩٤].

وقد جاء ذكر السماوات والأرض في آيات كثيرة في القرآن العظيم ؛ لأنها من أعظم خلق الله تبارك وتعالى ، ومن أوائل ما خلق الله تبارك وتعالى.

ومن هذه الآيــات: قولــه U: {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}(١).

وقولـــــــه U: {أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ}(٢) كل شيء مسلم ومستسلم وخاضع لله تبارك وتعالى ، إلا العبد الكافر والعاصي.

وقوله تبــارك وتعــالى: {وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(٣) هو خلقها ، وهو يملكها ، وهو يرثها ؛ إذاً ملكنـــا في هـــذه الأرض ملك مؤقت محدود بحياتنا ، فإذا متنا انتقل إلى غيرنا ، وهذا مؤقت ومجازي ليس بحقيقي ، إنما المُلكُ الحقيقي لله تبارك وتعالى ، وقد يأتي أحد بصك ويقول هذه أرضي ، هذا بيتي ، هذه عمارتي ، وفي الحقيقة ليس لك فيها شيءٌ ؛ إنما هـــو إكرامٌ من الله تبارك وتعالى ، جعل لك ملكاً مؤقتاً ومجازياً ، وإنما الملك الـــدائم والحقيقي لله تبارك وتعالى.

وقال تعالى: {لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ}(٤).

---

(١) سورة البقرة آية [٢٩].
(٢) سورة آل عمران آية [٨٣].
(٣) سورة آل عمران آية [١٨٠].
(٤) سورة الشورى آية [٤٩].

وقال تعـــالى: { إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ }[1] هذا الكون العظيم الهائل خلقه في ستة أيام ، وهو قادر على أن يخلق الكون كله بقوله: { كُن فَيَكُونُ } ؛ ولكن ليعلِّم خلقه ويربيهم على هذه السنة ، وعلى هذا المبدأ ؛ أن يجتهد الإنسان في بناء شيء ، وفي عمل شـــيء ، وفي إتقان شيء ، فلا بد له من وقت حتى ينجز هذا العمل.

وقوله سبحانه كذلك: { ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا }[2] بنـــاء ليس له أعمدة ، أو له أعمدة لا نراها ؛ تحتمل الآية التفسيرين.

وقال جل وعلا: { تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ }[3] السماوات كلها والأرض كلها تسبح لله العظيم الخالق سبحانه وتعالى.

وقال سبحانه وتعالى: { أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا }[4] كانت الأرض والسماء والكواكب كلها شـــيئاً واحـــداً ، كانت دخاناً كما قال القرآن ، وهو ما اكتـــشفه علمـــاء الفلـــك: أن هـــذه الكواكب كانت ذرات وغازات وأبخرة.

وقال جل وعـــلا: { ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ }[5].

---

(١) سورة الأعراف آية [٥٤] ، وسورة يونس آية [٣].

(٢) سورة الرعد آية [٢].

(٣) سورة الإسراء آية [٤٤].

(٤) سورة الأنبياء آية [٣٠].

(٥) سورة فصلت آية [١١].

وقال سبحانه أيضاً: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}[(١)] هو يملكها وكل ما فيها، وهو الذي سخَّر لنا ما فيها سبحانه تكرمًّا منه وتفضلاً فله الحمد كله.

وقال تبارك وتعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}[(٢)].

وقوله U: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}[(٣)].

وقوله U {لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}[(٤)] ما يملك الإنسان ذرة لا في الأرض ولا في السماء ، إنما يملكها الله ، ولا تغيب عنه ، ويعلم مكانها وحالها.

وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[(٥)].

وقال U: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}[(٦)].

قال علماء الفلك: الأرض كوكب صغير من أصغر النجوم تابع للشمس ،

---

(١) سورة لقمان آية [٢٠].

(٢) سورة الإسراء آية [٩٩].

(٣) سورة سبأ آية [٣].

(٤) سورة سبأ آية [٢٢].

(٥) سورة الزمر آية [٦٧].

(٦) سورة الطلاق آية [١٢].

والشمس أحد نجوم مجرة درب التبانة ، ودرب التبانة مجرد مجموعة ضخمة من الكواكب والنجوم من ضمنها الشمسُ وكواكبها التي تدور معهـــا ، ومنـــها الأرض، درب التبانة مجرَّةٌ واحدةٌ ؛ كم تحتوي هذه المجرة من نجوم وكواكب ؛ الأرض من أصغرها ، والشمس من أصغرها قالوا: تضم مائة بليون نجم ، يعـــني مائة ألف مليون نجم منتشرة في الفضاء، والشمس من أصغرها أو من أوسطها ، والشمس أكبر من الأرض بثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ألف مرة ، وهي تسير بسرعة ألف وخمسمائة كيلو متر في الثانية ، يعني بمقدار ما تغمض عينك تسير هـــذه الشمس تلك المسافة الشاسعة ؛ وصدق الله U إذ يقــول: {وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ}(١) وهي تدور حول محورها مـــرة واحدة في داخل المجرة ؛ كل مائتين مليون سنة تكمل لفة واحدة ، ويبلغ أقصر قطر لمجرة التبانة ـــ القطر مسافة من الوسط إلى الطرف ـــ أقل قطـــر مـــسافة مائة ألف سنة ضوئية ، يعني مليون مليون مليون كيلوا متر ؛ هذا أقصر قطـــر للمجرة !!.

وهناك عشرات الآلاف من المجرَّات غير هذه المجرة ، وهذا الذي توصل له علماء الفلك ، وإلا فالله U يوسع في خلقه ، كما قـــال ســـبحانه وتعـــالى: {وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}(٢).

اليوم في الأرض أربعة وعشرون ساعة ، الزمن نسبي حتى نأتي إلى آية من الآيات ، ولكن في الزهرة اليوم الواحد مائة وثمانية عشر يومـــاً أرضـــياً ، وفي

---

(١) سورة يس آية [٣٨].

(٢) سورة الذاريات آية [٤٧].

عطارد اليوم مائة وستة وسبعون يوماً أرضياً ، فـــالزمن إذاً نـــسبي ، والله U يقول: {تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}(١) وهذه الآية لم تحدد من أين يبدؤون ، ولا أين ينتهون.

وفي آية أخـــرى يقـــول الله U: {يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}(٢) فلا تعارض بين ألف سنة ، وبين هذه الأخرى ، لأنه في الأولى لم يُعرف البداية ولا النهاية ، ولكـــن في الأخرى حددت البداية والنهاية.

وعن أبي ذر t قال: قرأ رســـول الله e: {هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ}(٣) حتى ختمها ثم قال: (**إني أرى مالا ترون وأسمع مـــالا تـــسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط**) الأطيط: صوت يصدر من السماء ، من كثرة الملائكة التي عليها (**مافيها موضع أربعِ أصابع ، إلا وفيه ملك واضع جبهتـــه ساجداً لله**) (٤).

وقد صعد النبي e ليلة المعراج إلى السماء الأولى ومعه جبريـــل عليـــه السلام ، فلما جاء على باب الحفظة قالوا: من معك يا جبريل ؟ قـــال: معـــي محمد. قالوا: وقد بعث عليه الصلاة والسلام. وعندها فُتِحَ واستقبلته الملائكـــة بالبشر والسرور عليه الصلاة والسلام، ورأى من أنبياء الله ما رأى ؛ إبـــراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويحيى وغيرهم في كل سماء من هذه السماوات حـــتى

---

(١) سورة المعارج آية [٤].
(٢) سورة السجدة آية [٥].
(٣) سورة الإنسان آية [١].
(٤) رواه الترمذي (٢٣١٢) ، والحاكم (٤ / ٥٤٤ ، ٥٧٩) وقال: صحيح الإسناد.

وصل إلى البيت المعمور ، وهو بيت يقابل الكعبة في السماوات العلى ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة مرةً أخرى ، لكثرة الملائكة الكرام ؛ ملك واسع عظيم ، ورأى جبريل على حقيقته وله ستمائة جناح مابين الجناح والجناح كما بين السماء والأرض.

هذا هو ربنا الذي نُقَصِّر في طاعته، ونضيع الصلوات والعبادات والأوامر التي أمرنا بها سبحانه ، وهذا ملكه ونحن لا نعرف أننا نقصر مع إله عظيم كبير سبحانه وتعالى.

وروى البخاري عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي e كان يقول عند الكرب: **(لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السماوات وربُّ الأرضِ وربُّ العرش الكريم)** [١] ثم يدعوا ؛ فهذا الدعاء عند الكرب مستجاب بأمر الله تبارك وتعالى.

وعن عثمان بن عفان t قال: قال رسول الله e: **(ما من عبدٍ يقول في صباحِ كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضرَّهُ شيءٌ)** [٢]، إذا ذكرت هذا الدعاء في الصباح وفي المساء لا يضرك شيء بأمر الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦) ، ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) رواه أبو داوود (٥٠٨٨) ، وابن ماجه (٣٨٦٩) ، والترمذي (٣٣٨٨) وقال: حديث حسن غريب صحيح. والحاكم (١ / ٥١٤) وقال: صحيح الإسناد.

وفي الحديث الحسن عن عبد الله بن مسعود t قال: قال رسول الله e: **(إذا تخوف أحدكم السلطان فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ، كن لي جاراً من شر فلان بن فلان** ــ يعني: الذي يريده ـــ **وشر الجن والإنس وأتباعهم ، أن يفرط عليَّ أحد منهم ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك)**(1).

والأدعية التي جاءت في هذا الباب وذكرت السماوات والأرض كثيرة ، ولكننا نكتفي بما ذكرناه.

(1) قال المنذري في >الترغيب< (٣٣٠٨): رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح إلا جنادة بن مسلم ، وقد وثق ، ورواه الأصفهاني وغيره موقوفاً على عبد الله ؛ لم يرفعوه.

قوله تعالى:

{ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ }

قوله U: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ} ، وهذا بعد قوله تعالى: {لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ} وهناك مناسبة: فبعد أن ذكر أن له ملك السماوات والأرض تبارك وتعالى ، بين أيضاً: أن له ملك الدار الآخرة ، وأنه لا يتصرف متصرفٌ يوم القيامة ، ويوم البعث والنشور إلا بإذنه ؛ كما قال سبحانه وتعالى: {يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ}[(١)] لا يتكلم متكلم ــ مجرد الكلام ــ إلا بإذنه تبارك وتعالى ، وكما قال سبحانه وتعالى: {وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسًا}[(٢)].

وتأتي هذه الآية: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ} والمعنى: من هذا الذي يتجرأ ويشفع ويطلب الشفاعة من غير إذنه تبارك وتعالى ؟!.

وقد جاءت آيات كثيرة بهذا المعنى ، منها قوله U: {يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوۡلًا}[(٣)] فلا تنفع الشفاعة ولا تقبل

---

(١) سورة هود آية [١٠٥].

(٢) سورة طه آية [١٠٨].

(٣) سورة طه آية [١٠٩].

ولا يُسمح بها ؛ إلا لمن أذن له الرحمن ؛ ملكٌ كاملٌ ، سلطةٌ كاملــةٌ ، قــدرةٌ كاملةٌ ، وهي لمن له ملك السماوات والأرض.

وقولــه U: {۞وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ}(١).

وقولــــــه U: {أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۝ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ}(٢).

فالشفاعة يوم القيامة بيد الله وحده ، ولا يشفع من يشفع إلا بـــإذن الله ، إذاً لا يرجو الشفاعة إلا من أرضى الله ، إلا من قصد الله تبارك وتعالى ، أما من قصد غير الله تبارك وتعالى ، فلا شفاعة له ، وهي إشارة إلى عبدة الأوثان الذين قالوا: {مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ}(٣) وكانوا يأملون ويرجـــون في شفاعة أوثانهم وأصنامهم لهم يوم القيامة ؛ ينتظرون شفاعتهم ، فَــرَدَّ الله هـــذا الكلام عليهم.

وقال الله تبارك وتعالى كـــذلك: {قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) سورة النجم آية [٢٦].

(٢) سورة الزمر آية [٤٣ - ٤٤].

(٣) سورة الزمر آية [٣].

فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ }(١) هذه بعض الآيات ، وهناك آيات كثيرة غيرها في هذا المعنى.

وهناك آيات أخرى تتكلم عن السكوت بين يدي الله تبارك وتعالى ، حتى مجرد الكلام لا يكون إلا بأمر الله تبارك وتعالى ، وإلا بإذن الله U.

قال سبحانه وتعـــالى: {رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا }(٢) فهو يعلم من يقول الصواب فيأذن له تبارك وتعالى.

ومعنى الشفاعة كما بينها العلماء شرعاً: هي طلب الرسول e ، أو غيره ــ من الأنبياء والصالحين ــ من الله U في الدار الآخرة حصول منفعةٍ لأحـــدٍ من الخلق.

وهذا التعريف يشمل الشفاعة العظمى للنبي e للعالمين أجمعين ، الشفاعة العظمى للمسلمين والكافرين من شدة هول يوم القيامة ، حتى يقول قائلـــهم: يارب ولو إلى النار ؛ من شدة ذلك الموقف والعياذ بالله U ؛ يريدون الخلاص ولو إلى النار !!.

قال الحافظ ابن كثيرٍ رحمه الله عند قولـــه U: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} قال: (هذا من عظمته وجلاله وكبريائه U ، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع عنده إلا بإذنه له في الشفاعة)(٣).

---

(١) سورة سبأ آية [٢٢ - ٢٣].

(٢) سورة النبأ آية [٣١ - ٣٨].

(٣) >تفسير ابن كثير< (٢/ ٦٢٤).

ونقل صاحب تفسير المنار عن الإمام محمد عبده أنه قال في قوله تعـــالى: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} قال: (... بيانُ انفراده تعالى بالسلطان والملك ، وعدم جراءَة أحدٍ من عبيده من الشفاعة أو التكلم بدون إذنه ، وإذنه غير معروف لأحدٍ من خلقه)[1].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: (تقرر من هذه الآية: {مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ} أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة ، وهم الأنبياء والعلمـــاء والمجاهدون والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم الله تبارك وتعـــالى وشَـــرَّفهم ، ثم لا يشفعون إلا لمن ارتضى)[2].

أما أول الشفعاء وسيدهم فهو محمد e ؛ أول شافعٍ وأول مُشَفَّع ، أولُ من يشفعُ ، وأول من تُقبل شفاعته ؛ هو محمد e صاحب لواء الحمد ، الذي سيبعثه ربه تبارك وتعالى مقاماً محموداً ؛ قال U: {عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}[3] والمقام المحمود: هو مقام الشفاعة.

جاء في حديث الشفاعة الطويل ، ونأخذ جزءاً منه: بعد أن يأتي النـــاس كلهم إلى آدم وإلى نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى علـــيهم جميعـــاً صلوات ربي وسلامه ، يطلبون أن يشفع أحد منهم إلى الله تبارك وتعالى ليبـــدأ الحساب ، ويتخلصون من موقف يوم القيامة ، فكل منهم يلقيها على أخيـــه ، حتى تصل إلى محمد e (فيأتون محمداً e فيقولون: يا محمد أنت رسول الله) الكل يعترف يوم القيامة أنه رسول الله ، رغم أنهم هنا في الدنيا ــ غير المسلمين ــ

---

(١) >تفسير المنار< (٣/ ٣١).
(٢) >تفسير القرطبي< (٣/ ١٧٨) ط. دار الكتب العلمية.
(٣) سورة الإسراء آية [٧٩].

لا يعترفون برسالته ، ولكنهم يوم القيامة ، يوم يكشف لهم عن كـل شـيء يعترفون ؛ (أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم مـن ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحـن فيـه ؟!) قـال e : **(فأنطلق فآتي تحت العرش فأخر ساجداً لربي U ، ثم يفتح الله U عليَّ مـن المحامد والثناء ما لم يفتحه على أحدٍ قبلي)** فلا الأدعية التي دعى بها الناس على مرّ الزمان والدهور ، ولا المحامد التي حمد الناس بها ؛ يُدَّخَرُ له محامـد خاصـة بذلك المقام العظيم ، وثناء خاص في ذلك اليوم العظيم ؛ لم يفتحه على أحـدٍ قبله e **(ثم يقال: يا محمد ! ارفع رأسك ، وسل تعط ، واشـفع تُـشفع)** فيكون أول شافعٍ e ؛ يقول عليه الصلاة السلام: **(فأرفع رأسي وأقول: أمتي يارب ، أمتي يارب)** هَمُّه الأول أمته عليه الصلاة والسلام ، الـذين لهجـت ألسنتهم بذكر الله ، وبالصلاة على رسول الله e ، فيقول الله U: **(يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبـواب الجنـة)** باب خاص بأهل أمة محمد e ، الذين لا حساب عليهم ، (وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) ثم قال e : **(والذي نفسي بيده إن ما بـين مصراعين من مصارع الجنة)** ما بين أبواب الجنة **(لَكَمَا بين مكة وحمـير)** أو كما بين مكة وبصرى)[1] ، كما بين مكة واليمن ، ومكة والشام ، حتى نعرف كثرة من يدخله من عباد الله تبارك وتعالى.

وفي رواية: **(فأقول يارِبِّ ! ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ! فيقـول: وعزتي وجلالي ، وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)**[2].

---

(١) رواه البخاري (٤٤٣٥) ، ومسلم (١٩٤) واللفظ هنا لمسلم.
(٢) رواه البخاري (٧٥١٠).

وفي الحديث أيضاً عن أنس بن مالك **t** قال: قال رسول الله **e**: (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)[1].

إذاً أول من يشفع هو النبي عليه الصلاة والسلام ، ويشفع الشفاعة العظمى للبشر ، ثم الشفاعة لمن قال لا إله إلا الله ، ومن ابتلي من أهل الشهادتين بالمعاصي والكبائر كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة ؛ أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار ، لماذا ؟ لكلمة التوحيد ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله **e**.

ثم يشفع الأنبياء ، يأتي بعد ذلك إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء كما جاء في الحديث الصحيح ، عن أبي سعيد **t** ، عن النبي **e** وفيه : (**...** ثم يقول الله **U**: (**شفعتِ الملائكةُ ، وشفع الأنبياء ، وشفع المؤمنون ، وبقيَ أرحمُ الراحمين**) قال: (**فيقبِضُ قبضةً من النار ، أو قال: قبضتين ؛ ناسٌ لم يعملوا لله خيراً قط ، قد احترقوا حتى صاروا حمماً**) أصبحوا فحماً من النار (**فَيُؤتى بهم إلى ماءٍ يقال له : ماء الحياة ، فَيُصَبُّ عليهم ، فينبتُون كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل ، فيخرجُون من أجسادهم مثل اللؤلؤ ، في أعناقهم الخاتمُ : عتقاء الله**) ، قال: (**فيقال لهم : ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيء فهو لكم عندي أفضل من هذا**) ، قال : (**فيقولون : ربنا وما أفضل من ذلك ؟**) ، قال: (**فيقول : رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً**)[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٥) ، وابن ماجه (٤٣١٠). وقال الترمذي : هذا حدبث حسن صحيحٌ غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٩٥)، وقال محققو المسند : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وهذه آخر الشفاعات ؛ شفاعة أرحم الراحمين ، ورب العالمين ، وأكـرم الأكرمين سبحانه وتعالى ؛ جل جلاله ، وعظم نواله ، وتبارك اسمه ، وتعالى جده ، ولا إله غيره ، وهم خلقه ، يفعل فيهم ما يشاء.

وهذا بعد شفاعة الملائكة ، والنبيين ، أي أن الأنبياء يشفعون ، ثم الملائكة وقد بينت الآيات شفاعتهم ؛ كما قال سبحانه وتعالى: { ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ }[1]؛ فيشفع جبريل وإسرافيل وميكائيل وغيرهم من ملائكة الرحمن تبارك وتعالى ، ممن تمـر عليهم عبادة العابدين ، ودعاء الداعين ، واستغفار المستغفرين ، وقيام الليل للمتهجدين ، تمر عليهم كل يوم هذه صلاة فلان ، وهذا صوم فلان ، وهذه عبادة فلان.

ثم يشفع الشهداء ؛ والشهداء هم الذين جاهدوا في سبيل الله تبارك وتعالى جهاداً خالصاً لا رياء فيه ولا سُمعة.

عن المقدام بنِ معد يكرب t قال: قال رسول الله e: (**للشهيد عند الله ست خِصال** ...) وذكر منها: (**ويُشَفَّعُ في سبعينَ مِن أقاربه**)[2].

والشهداء أولهم من قتلوا في سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتي من الشهداء أنواع كثيرة ، منهم: من قتل دون ماله يدافع عن ماله ، ومن قتل دون دمه يدافع عن نفسه ، ومن قتل دون عرضه يدافع عن أهله هؤلاء شهداء ، والمطعون والمبطون والغريق والهديم ــ الذي انهدم عليه البيت ونحوه ــ والذي

---

(١) سورة النجم آية [٢٦].

(٢) رواه ابن ماجة (٢٧٩٩) ، والترمذي (١٦٦٣) وقال: حديث صحيح غريب.

يموت في سبيل الله ــ في الحج ، في الدعوة إلى الله تبارك وتعــالى ، في خدمــة المسلمين ــ وصاحب ذات الجنب ــ وهو مرض معروف ــ والمرأة التي تموت بجمع ــ وهي حامل ، كل هؤلاء شهداء.

وذكر ابن حجر رحمه الله تبارك وتعالى: من وقصه فرسه أو بعــيره ــــ وكأنه يدخل فيه من مات في حوادث هذه السيارات نسأل الله U أن يجيرنــا وإياكم ــ أو لدغته هامة ، أو مات على فراشِهِ على أي حتفٍ شــاء الله U ، وموت الغريب ــ الذي يموت غريباً في أرض غربة ــ، والمرابط في سبيل الله ، واللديغ ، والشريق ، والذي يفترسه السبع ، والخارُّ عن دابته ، والمائدُ في البحر الذي يصيبه القيءُ ، ومن طلب الشهادة بنية صادقة ؛ فكل هؤلاء شــهداء لا تنطبق عليهم أحكام الشهداء في الدنيا ــ أي يُغَــسَّلُون ، ويُــصَلَّى علــيهم ، ويدفنون ؛ لا يعاملون كالشهداء الذين ماتوا في سبيل الله ، ولكنهم في الآخرة مثلهم في الأجر والثواب ، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن ذكر الأحاديث التي تــدل علــى إثبات فضل الشهادة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ؛ قال: (ويتحصل ما ذكــر في هذه الأحاديث أن الشهداءَ قسمان: شهيدُ الدنيا ، وشهيد الآخرة وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غيرَ مدبرٍ مُخلصاً. وشهيدُ الدنيا وهو من ذُكر ؛ بمعــنى أنهم يُعطون من جنس أجر الشهداء ، ولا تجري عليهم أحكامهم في الــدنيا) ا.هــ[1].

(١) "فتح الباري" (٦/ ٥٢).

وأما بالنسبة للشفاعة فالله تبارك وتعالى أعلم؛ لأنه لم يذكر دليل في ذلك، هل يشفعون كما يشفع الشهيد المجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى ؟ فـالله U أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، ورب العالمين.

ثم أخيراً شفاعة المؤمنين: يشفع المؤمنون بعضهم في بعض ، المؤمن المحافظ على الطاعات ، المجتنب للمحرمات ، كما جاء في الحديث المتفق عليه وهو حديث طويل نأخذ جزءاً منه (يقولون:) هؤلاء المؤمنون (ربنا إخوانُنُا ، يصلون معنا ، ويصومون معنا ، ويعملون معنا ، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مِثقالَ دينارٍ من إيمانٍ فأخرجوه) أي من النار، (ويُحَرِّم الله صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضُهُم قد غاب في النار إلى قدمه ، وإلى أنصاف ساقيه) والعياذ بالله U (فيخرجون من عرفوا) ليس أقاربهم وإنما المؤمنين الذين صلوا معهم وصاموا معهم وحجوا واعتمروا معهم (ثم يعودون ، فيقول الله تبارك وتعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مِثقال نِصفَ دينارٍ فأخرِجُوه. فَيُخرجون من عرفوا ، ثم يعودون ، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا)[1].

والذين يَشفعون هُنا هم: أهل الطاعة؛ الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، وذكر الله، وطاعة الرحمن تبارك وتعالى، هؤلاء هم الذين يشهدون ويشفعون.

وهناك أعمال صالحة كثيرة تشفع لصاحبها عند الله تبارك وتعالى يوم القيامة ، ولا يتسع المقام لذكرها جميعاً ؛ منها القرآن والصيام ، ففي الحديث: (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة**) نسأله U أن يكون الصيام والقرآن شفيعين لنا يوم الحسرة والندامة.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري t .

ومنها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهي تشفع لصاحبها، وخاصةً من قالها خالصاً من قلبه.

ومن صلى على النبي e كل يومٍ عشر مرات في الصباح ، وعشر مرات في المساء حَلَّتْ له شفاعة النبي e .

ومن سمع المنادي ينادي للأذان فقال: (اللهم رب هذه الـــدعوة التامـــة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته) حَلَّتْ له شفاعة النبي e يوم القيامة.

نسأله تبارك وتعالى أن يجعلنا من شفعائه عليه الصلاة والـــسلام ، يـــوم العرض على الله تبارك وتعالى ، إنه على كل شيءٍ قدير.

قوله تعالى:

{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ }

قولـــه U: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} فهذه الآية تتضمن صفةً عظيمة من صفات الله تبارك وتعالى ، وهي صفة العلم ، فكان لا بد من أن تذكر في أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عند قولـــه U {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}: (يعني جلَّ ثناؤه بذلك أنه المحيط بكل ما كان ، وبكل ما هو كائن علماً ، لا يخفى عليه شيءٌ منه ــ أنه مطلع وعليم بمـــا كـــان ومـــا سيكون ــ ثم نقل عن مجاهد رحمه الله أنه قال: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي: ما مضى من الدنيا ، {وَمَا خَلْفَهُمْ} أي: أمامهم من الآخرة. وقال ابن جـــريجٍ: {مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي ما مضى أمامهم من الدنيا ــ الأيام التي ذهبـــت ـــــ، {وَمَا خَلْفَهُمْ} ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة)[1]. ما يكون مـــن الأيـــام القادمة ، من اللحظات القادمة ، من السنين القادمة ، من الدهور القادمة ، مع ما ينتظرهم من أمر الآخرة ، كلها يدخل في قوله تعالى: {وَمَا خَلْفَهُمْ}.

(١) <تفسير الطبري< (٤ / ٥٣٥) بتصرف.

وقال الحافظ ابن كثير رحمـــه الله: ({يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، كقوله تبارك وتعالى إخباراً عن الملائكة: {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا})[(١)].

وقال الألوسي رحمه الله: (وقيل في تفسير هذه الآية: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} أي: ما يدركونه ومالا يدركونه، أو ما يحسونه ويعقلونه)[(٢)].

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي: ما يدركونه ، وما يحسُّونه ، {وَمَا خَلْفَهُمْ}: مالا يدركونه ، وما لا يحسونه ، فإن مالا ندركه ، ومالا نحسه ، أكثـــر ممـــا ندركه ونحسه ، فنحن نرى الناس ، ونرى الأرض ، ولكننا لا نـــرى المجـــرات البعيدة ، ولا الكواكب العظيمة ، ولا الملائكة ، ولا الجـــن ، ولا الـــسماوات العلى ، ولا الجنة ، ولا النار ؛ فإن ما لا نراه ومالا ندركه أكثر مما نراه وندركه.

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: (وأما قوله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} فإنه يعني تعالى ذكره: أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيءٌ ، محيطٌ بذلك كله ، محصٍ له دون سائر من دونه ، وأنه لا يعلم أحدٌ سواه شـــيئاً إلا ما شاء هو أن يُعلِمَه)[(٣)].

---

(١) "تفسير ابن كثير" ، (٢ / ٦٢٥) ، والآية من سورة مريم [٦٤].

(٢) "روح المعاني" (٢ / ١٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٣) "تفسير الطبري" (٤ / ٥٣٦).

فالعلم الذي لدى الناس هو عِلم أَذِنَ الله لنا أن نتعلمه، وشاء لنا أن نعلمه، ويسَّر لنا سبحانه وتعالى بعد إذنه وعلمه أن نتعلمه ، وهو علم قليل في علم الله تبارك وتعالى ؛ {وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }(١) فقد يُغَرُّ الإنسان ويندهش بما يراه من العلوم الحديثة ، والتقنيات الحديثة في الاتصالات ، وفي الطيران ، وفي الفضاء ، وفي الطب ؛ يندهش ويستعجب ويستغرب ، ولكن كل هذا العلم الذي يندهش به الإنسان ويستغرب ؛ يدخل في العلم القليل الذي هو من علم الله تبارك وتعالى ، ولم يتعلمه الإنسان إلا بما شاء ، فهو الذي أذن للإنسان أن يتعلم هذا العلم ؛ سبحانه وتعالى.

وقال ابن جرير أيضاً: (إنما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلاً ، فكيف يُعبَدُ من لا يعقل شيئاً البتة من وثن وصنم ؟! ، يقول: فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها ، يعلمها ، لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها)(٢).

وقد ورد اسم العليم ـــ وهو مبالغة من كثرة العلم ـــ في القرآن الكريم في (١٥٠) موضعاً.

وهناك آيات كثيرة في كلام الله U تحدثت عن العلم ، أو علم الله تبارك وتعالى ، منها قوله U: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا} ، وقوله

---

(١) سورة الإسراء آية [٨٥].

(٢) >تفسير الطبري< (٤ / ٥٣٦).

تبارك وتعالى: { ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ }(١)، وقوله تعالى: {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ } لا يبعد عنه ولا يغفل عنه { مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ }(٢)، وقوله تعالى: {وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى }(٣)، وقوله تعالى: {وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ }(٤) ، وقوله تعالى: {ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ }(٥) ، وقوله تعالى: {ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ }(٦)، وقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ }(٧)

---

(١) سورة الأنعام آية [٥٩].
(٢) سورة سبأ آية [٣].
(٣) سورة طه آية [٧].
(٤) سورة البقرة آية [٢٣٥].
(٥) سورة المائدة آية [٩٧].
(٦) سورة الرعد آية [٨ - ٩].
(٧) سورة التوبة آية [٧٨].

وقولـــه تعالى: {قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ}(1) ، وقوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(2) ، وقوله تعالى: {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(3) وأخيراً قوله تعـــالى: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا}(4)، أي: ليس عالماً أو عليماً فحسب ؛ بل هو محيط بكل شيء ، صغيراً أو كبيراً ، سواءاً كانت ذرة فهو محيط بها وبمكوناتها ، أو كانت مجرة فهو محيط بها وبمكوناتها ، سبحانه وتعالى.

وهناك من أسماء الله U ما يتعلق بهذا الاسم ؛ بصفة العلم واسم العليم ، فالعليم هو ذو العلم الكامل ، فهو شامل لجميع المعلومات ، محيط سابق علـــى وجودها ، لا تخفى عليه خافية.

ومن هذه الأسماء أيضاً: اللطيف ، ومعنى اللطيف: أي أنه يعلم خفيـــات الأمور ودقائقها ، قال تبارك وتعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ}(5).

---

(1) سورة الفرقان آية [٦].

(2) سورة لقمان آية [٣٤].

(3) سورة الجمعة آية [٨].

(4) سورة الطلاق آية [١٢].

(5) سورة الملك آية [١٤].

اللطيف الذي يعلم الدقائق ، والخبير أي: العالم ببواطن الأمور وأسرارها سبحانه وتعالى ؛ الذي لا يعزب عنه شيء ، قال تعالى: {لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ}(١).

والشهيد أيضاً من العلم ، أي: العليم بالأشياء عن شهودٍ وحضور ، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا}(٢) سبحانه وتعالى.

ومنها: الحسيب ، من المحاسبة والحساب والعدل ؛ الذي يحاسب على كل صغيرةٍ وكبيرة ، قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}(٣).

والمحصي أيضاً من الأسماء التي لها صلة بالعلم ؛ وهو المحيط بكل موجود جملةً وتفصيلاً ، قال تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ}(٤).

ومنها السميع ، أي: الكاشف لكل موجودٍ بسمعه ، والبصير: الكاشف لكل موجود ببصره ، قال تعالى: {إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ}(٥).

ومن هذه الأسماء أيضاً: الرقيب ؛ الذي يراقب الأشياء وهو يعلم بها ، قال جل وعلا: {وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا}(٦).

---

(١) سورة الأنعام آية [١٠٣].

(٢) سورة النساء آية [٣٣] ، وسورة الأحزاب آية [٥٥].

(٣) سورة النساء آية [٨٦].

(٤) سورة يس آية [١٢].

(٥) سورة الإسراء آية [١]، وسورة غافر آية [٥٦].

(٦) سورة الأحزاب آية [٥٢].

والمهيمن أيضاً: بمعنى المراقب والمشاهد ، فهي من العلم.

والواسع إذا أخذناه بمعنى: سعة العلم ؛ فهو سبحانه وتعالى الواسع بعلمه ، المحيط به.

والمؤمن: وهو البالغ منتهى العلم اليقيني في كل شيء ، فلا شك في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى ، ولا يظن ولا يشك فيها.

وفي الحديث الصحيح عن أبي بن كعبٍ t أنه سمع رسول الله e يقول: **(قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فَسُئِل ؛ أي الناس أعلـــم ؟ فقال: أنا أعلم . فعتب الله تبارك وتعالى عليه لأنه لم يرد العلم إليه ، فقال له: (بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك)** وهو الخضر الذي جاء في سورة الكهف ، ثم ذكر قصة الخضر مع موسى عليهما السلام حتى جاء فيهـــا ـــــ وموسى مع الخضر في السفينة ــــ **أن عصفوراً وقع على حرف الــسفينة ــــ** جلس على طرف السفينة ــــ **فنقر في البحر نقرة ، أو نقرتين ، فقال الخـــضر عليه السلام: يا موسى ما نقص علمِي وعلمُكَ من علم الله ، إلا مِثْـــلَ مـــا نقَصَ هذا العُصفُورُ بمنقاره من البحر)**[1]. كان هذا المثل العظـــيم والرائـــع ، ليفهم الإنسان ويعلم قدر علم الله تبارك وتعالى بالقياس إلى علم البشر والنـــاس جميعاً ، مهما بلغوا من التقدم والعلوم ، فكلها علوم بسيطة ويـــسيرة ، فـــإذا كانت الطائرات والصواريخ ، فالله تبارك وتعالى تعرج الملائكة والروح إليه في يومٍ واحد ، ولكنه في أيامكم يساوي خمسين ألف سنة ؛ كما قـــال تعـــالى: {تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}[2] لـــو

(١) رواه البخاري (٣٤٠١) ، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) سورة المعارج آية [٤].

أردنا بطائراتنا وصواريخنا أن نصل إليها ؛ لوصلنا بعد خمسين ألف سنة ، وتصلها ملائكة الرحمن بعلم الله سبحانه وتعالى الدقيق العظيم الهائل في يومٍ واحد ، سبحانه وتعالى ؛ ما أعظمه ؟! وما أكبره ؟! **(ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور بما أخذه من البحر)** وهل أخذ من البحر شيئاً ؟! هل أخذ العصفور من البحر شيئاً ؟! لا يُعدُّ ولا يذكر ما أخذه العصفور من البحر شيئاً ، فهو لم يأخذ شيئاً يذكر ، وكذلك الناس ، وكذلك علومهم لا تساوي في علوم الله تبارك وتعالى شيئاً يذكر.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله e يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول: (إذا هَمَّ أحدكُم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علامُ الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي ، وعاقبةِ أمري ، أو قال: عاجل أمري وآجله ، فاقدُرهُ لي ، ويَسِّرهُ لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ودنياي ، وعاقبة أمري ، أو قال: عاجل أمري وآجله ، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به)[١].

وفي هذا الحديث يعلمنا النبي e أن نلجأ إلى الله تبارك وتعالى ، وإلى علم الله المحيط بما كان وما سيكون ، وبما هو كائن إلى يوم القيامة ؛ أن نلجأ إليه في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وأن نلجأ إلى علمه تبارك وتعالى ، ونفوِّض الأمر إليه.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٨٢).

في هذا تربية عظيمة للمسلم ، أن يستشعر دائماً وهو يستخير الله تبـــارك وتعالى ، في كل أمر ، ولو بعد كل نافلة استخرت الله في أمر ، وأنت كل يوم تحتاج إلى استخارة ، بل في كل يوم تحتاج إلى الاستخارة مـــرات ومـــرات ، فعندما تستخير ؛ تستشعر علمك الصغير ، وتتأكد وتعترف بأن علمك لاشيء مع علم الله تبارك وتعالى ، فإن فعلت ذلك عَلَّمَكَ الله مـــن علمـــه ، ونـــور بصيرتك ، وهداك إلى العمل الصواب ، وإلى التصرف الصحيح ، وإلى الحيـــاة السعيدة ، وجنبك وأبعدك عمَّا هو شرٌ وضلالٌ وفـــسادٌ وخـــسارةٌ في الـــدنيا والآخرة.

قوله تعالى:

{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ }

قول الحق U: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} وهذه الآية إنما سميت بآية الكرسي ، وما ذاك إلا لأن من أعظم ما ذكر فيها شأن الكرسي ؛ {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ}.

عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: الكرسي هو موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره.

وقال السدي رحمه الله: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} قال: فإن السماوات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي العرش ، وهو موضع قدميه. سبحانه وتعالى.

وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن السماوات السبع ، والأرضين السبع ، بُسِطْن ثم وُصِلنَ بعضهنَّ إلى بعض ، ما كنَّ في سَعَةِ الكرسيِّ إلا بمنزلة الحَلْقَةِ في المفازة [(١)]. أي: في صحراء.

ما أجلَّ الله؟! وما أعظم الله تبارك وتعالى؟! وما أكبر جهلنا؟! وما أكثر تقصيرنا؟! وما أعظم غفلتنا عن رب السماوات والأراضين؟!.

وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه كان يقول: الكرسي هو العرش.

---

(١) أورد الآثار المتقدمة ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٤ / ٥٣٨).

قال ابن كثيرٍ رحمه الله تبارك وتعالى: والصحيح أن الكرسي غير العرش ، والعرش أكبر منه ، كما دَلَّتْ على ذلك الآثار والأخبار(١).

وعن مجاهدٍ ــ بسندٍ صحيح ــ قــال: (مــا الــسماوات والأرض في الكرسي ، إلا بمنزلة حلقةٍ ملقاةٍ في الأرض الفلاة) (٢).

إذا رميت حلقة في فلاة ، هل يراها أحد ؟! أو هل تشعر بهــا في تلــك الصحراء المترامية الأطراف من كل جانب، الساكنة الهادئة ؟! هل تشعر بتلك الحلقة ؟! فما هذه السماوات والأرض على عظمها بالنسبة للكرسي إلا كحلقة ملقاةٍ في صحراء !!.

علماء الفلك يذكرون أن عدد النجوم في مجرةٍ واحدةٍ فيها الشمس والقمر والزهرة وزحل والمريخ وغيرها من الكواكب ــ مجرة واحدة ــ فيها أكثر من مائة ألف مليون نجم ؛ هذا كلام علماء الفلك الذين يدرســون ويحــسبون ، بحساباتهم. يقدرون هذه التقديرات ؛ مائة ألف مليون نجم ، وهناك أكثر مــن مائة ألف مجرة ، وهذا كله في السماء الدنيا ، فكيف ببقية السموات.

لما نزل قوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} قال أصحابُ النبي e: يا رسول الله ، هذا الكرسي وسع السماوات والأرضَ ، فكيف العرشُ ؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ} (٣).

(١) >تفسير ابن كثير< (٢ / ٦٢٦).
(٢) >الأسماء والصفات< للبيهقي ، (٢/ ٣٠١ ، ٣٠٢) ، وقال محققه : صحيحٌ عن مجاهد.
(٣) أورده ابن جرير الطبري في >تفسيره< (٤/ ٥٣٩) ، والآية من سورة الزمر آية [٦٧].

لا يستطيع أي إنسان أن يعرف حجم عرش الرحمن تبارك وتعـــالى ، إذا كانت السماوات السبع مطويات بيمينه ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامـــة ؛ فكيف سيكون العرش ؟!، سبحانه وتعالى عما يشركون.

عن عبد الله بن مسعودٍ t قال: (ما بين الـــسماء إلى الأرض مـــسيرة خمسمائة عام ، ثم مابين كل سماءَينِ مسيرة خمسمائة عام ، وغلظ كـــل سمـــاءٍ مسيرة خمسمائة عام ، ثم مابين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عـــام ، وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والكرسي فوق الماء ، والله تعالى فـــوق العرش ، ولا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم) [1]؛ سبحانه وتعالى عما يشركون.

واستواؤه U استواء معلوم ، ولكن الكيف مجهول ، فهو اســـتواء كمـــا يليق بجلاله تبارك وتعالى وعظمته وكبريائه.

وعن مجاهد أنه قال في قوله تبارك وتعالى: {وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} ـــ في موســـى عليه السلام ـــ قال: (بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، حجاب نور ، وحجاب ظلمة ، وحجاب نور ، وحجاب ظلمـــة ، فمـــا زال يُقرِّب موسى حتى كان بينه وبينه ـــ أي: بينه وبين الله ـــ حجـــاب واحـــد ، وسمع صرير القلم ، قال: رب أرني أنظر إليك) [2].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله **e : (أُذن لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكة الله تعالى ، من حملة العـــرش: أنَّ ما بين شحمة أُذِنه إلى عاتقه ، مسيرة سبعمائة عام)**[3].

---

(١) >الأسماء والصفات< للبيهقي (٢/ ٢٩١ ، ٢٩٢) ط. السوادي. وقال محققه: إسناده حسن.

(٢) >الأسماء والصفات< للبيهقي (٢/ ٢٩٤) وقال محققه: إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات.

(٣) رواه ابو داود (٤٧٢٧) في السنة. وقال محقق >جامع الاصول< (٤/ ١٩): إسناده حسن.

عظمةٌ وقدرة إلهية ؛ سبحانه وتعالى ، ولذلك كانت هذه الآية أعظم آيةٍ في كتاب الله تبارك وتعالى ، لاشتمالها على هذه الآيات والمخلوقات.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله e: (... **فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ ، فإنه أوسطُ الجنة ، وأعلى الجنةِ ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة**)[1] نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى بفضله وكرمه وَمَنِّه.

وعن أبي هريرة t قال: (**لما قضى الله الخلق ، كتب في كتابه ، فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي**)[2].

قال تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ }[3] كما ذكرت الآية كل شيء ؛ فرحمة الله واسعة ، سبحانه وتعالى يرحم بها من يشاء من عباده ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

وفي الحديث الحسن عن علي بن أبي طالب t قال: (**أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام والنبي e وهو على يمين العرش**).

وفي الحديث الحسن لما قَدِمَ جعفرُ بنُ أبي طالب من أرض الحبشة قال له رسول الله e: (**ما أعجب شيءٍ رأيته هناك ؟**) قال: رأيت امرأةً على رأسها مكتل من طعام ، فمرَّ بها فارس ، فإذا به يلقي ذلك الطعام من على رأسها ، فقعدت تجمع الطعام ثم التفتت فقالت: يا ويلك يوم يضع المِلك الكرسي يوم

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) سورة الأعراف آية [١٥٦].

القيامة) يوم يضع الملِك كرسيه فيأخذ للمظلوم من الظالم يوم القيامة ؛ فوضع الكرسي إذنٌ بالحساب والجزاء من الله تبارك وتعالى ؛ الديان الملك U ، ثم قال عليه الصلاة والسلام: تصديقاً لهذه المرأة التي أُوذيت من ذلك المتجبر المتكبر ؛ قال e: (**لا قُدِّسَتْ أمةٌ**) لا عظم شأنها ، ولا عظم أهلها ، ولا رفع من كلمتها (**لا قُدِّسَتْ أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها**) يعني أن الأمة تعيسة ما دام أن الضعيف يأخذ حقه بالمشقة وبالكلفة وبالتعب ، لا قدست هذه الأمة ، ولا عظمت ، ولا بوركت ، والعياذ بالله U.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ} ؛ ليتعظ الظالم المتكبر المتجبر ، فيعلم أن رب العزة والجلال تبارك وتعالى سيحكم بين العباد يوم القيامة ؛ الذي وسع كرسيه السماوات والأرض.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أن النبي e: كان يدعو عند الكرب ويقول: (**لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**)[1]، كان يدعو بهذا الدعاء فيسأل الله تبارك وتعالى بصفته العظيمة ، صلوات ربي وسلامه عليه.

ومن تلك الأدعية الدعاء الذي قاله ذلك المكروب ، الذي جاءه ذاك اللص في سفر ، فأراد أن يأخذ ماله وأن يقتله ، فصلى لله ركعتين ، ثم دعا بهذا الدعاء: (يا ودود ، ياذا العرش المجيد ، يا فعال لما يريد ، أسألك بعزك الذي لا يرام ، وملكك الذي لا يضام ، ونورك الذي ملأ أركان عرشك ، يا مغيث

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦) ، ومسلم (٢٧٣٠).

أغثني ، يا مغيث أغثني ، يا مغيث أغثني) فأغاثه الله تبارك وتعالى ، وأرسل لــه ملكاً قضى على ذلك اللص ، كما جاء في تلك القصة المشهورة.

فترى أن الأدعية التي تكون في الكرب وفي الشدة ، وعند ظلم الظالمين ، وبغي البغاة والمتجبرين والمتغطرسين والمتكبرين ، يدعو فيها المسلم بهذه الصفات العظيمة ، ويسأل رب العزة والجلال ، ورب العرش ، ورب الكرسي ، فينصره الله تبارك وتعالى.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} فهل نتعظ ، وهل نعرف لله U حقه وقدره ، فنعظم قدر الله تبارك وتعالى ، قال تعالى: {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ}(١).

(١) سورة الحج آية [٣٢].

قوله تعالى:

{ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ }

قوله تبارك وتعالى: {وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ} يعود الضمير على السماوات والأرض الواردة قبلها مباشرة: {وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ}. وتقدم قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما الصحيح: أن السماوات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقةٍ في فلاةٍ. يعني في صحراء ؛ كحلقةٍ صغيرةٍ في صحراءَ مترامية الأطراف.

ثم قال سبحانه وتعالى: {وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ} قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ({وَلَا يَـُٔودُهُۥ} أي: ولا يشق عليه ولا يثقله)[1].

فبعد أن بَيَّنَ عظم وسعة ملكه ، بَيَّنَ أن ذلك لا يثقله ولا يشق عليه أن يحفظه ، وأن يعلمه ، وأن يتصرف فيه كما يشاء سبحانه وتعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن وغيرهم: يعني لا يَثقُلُ عليه ، ولا يُجهِدُه حفظهما ، فهو ميسور سهل عليه.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ رحمه الله: ({وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ} أي: لا يثقله حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ، ومن بينهما ، بل كل ذلك سهل عليه ، يسير لديه ، وهو القائم على كل نفس بما كسبت ، ــ ليس على السماوات

---

(١) >تفسير الطبري< (٤/ ٥٤٢).

والأرض فحسب ، بل على كل نفس بما كسبت ـــ، الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، والأشياء كلها حقيرة بين يديـــه ، متواضعةٌ ذليلةٌ صغيرةٌ بالنسبة إليه سبحانه وتعالى)[1].

والآيات التي تذكر الحفظ كثيرة ، منها:

آيات ذكرت لنا حفظ الله تبارك وتعالى؛ كقوله U: { وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ }[2] يعني: السماوات تولَّى حفظها سبحانه وتعالى بنفسه ، فحفظها من كل شيطانٍ رجيم.

وقال تعالى: {فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}[3] فهو خير الحافظين، وأرحم الحافظين ، سبحانه وتعالى ، وهذا الدعاء الذي دعاه يعقـــوب لابنـــه يوسف وبنيامين لما سافرا ، فدعا الله U بهذا الدعاء ، فتولَّى الله حفظهما رغم المخاطر التي تعرضا لها ؛ قـــال: {فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} ، ولا بأس للمسلم إذا أراد أن يحفظ شيئاً أن يقول هذا الدعاء.

وقال U: {إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}[4] تكفَّل الله بحفـــظ كتابه العظيم ، وتولَّى ذلك بنفسه ، فإذا تولَّى حفـــظ الـــسماوات والأرض ، فحفظهما ومن فيهما وما بينهما ، أَيُعْجِزُهُ حفظُ كتابه الكريم سبحانه وتعالى ؟! وكم حاول أعداء المسلمين على مَرِّ الأزمنة ، وعلى مَرِّ الـــدهور ـــــ ألـــف

---

(١) >تفسير ابن كثير< (٢/ ٦٢٦).

(٢) سورة الحجر آية [١٧].

(٣) سورة يوسف آية [٦٤].

(٤) سورة الحجر آية [٩].

وأربعمائة سنة وهم يحاولون ـــ أن يُغَيِّروا في هذا الكتاب ، حتى حاولوا في سنةٍ من السنين فَغيَّروا حرفاً واحداً في المصحف كله ، فوزعـــوه في بعـــض بـــلاد المسلمين البعيدة ، وإذا بحفظة القرآن يخرجون تلك النسخ ويقولـــون: النـــاقص حرف واحد ، وتتلف كل تلك النسخ ؛ فليطمئن المسلم مهما سمع من محاولات لتحريف كتاب الله تعالى !، فهي عبث ، وهي كمن يثير الغبار على الشمس ، فيأتي الغبار عليه وتبقى الشمس في رابعة النهار مضيئة جلية ، فلا يقلق المـــسلم ولا يضجر ؛ لأن الله القادر العظيم يقول: {وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} .

ومن آياته في الحفظ قوله تعالى: { إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَفِيظٌ }[1] ، وقوله سبحانه: { وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ حَفِيظٌ }[2].

وكذلك الملائكة ؛ والملائكة يحفظون مَن أراد الله حفظه بأمره ســـبحانه وتعالى ؛ وهم حفظةٌ كما قـــال U: {إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ}[3] ؛ مَلَـــكٌ يحفظها بأمر الله تبارك وتعالى ، وقوله تعالى: {وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ}[4] ، وقوله تعالى: {وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً}[5] ، وقوله تعالى: { لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ }[6].

---

(١) سورة هود آية [٥٧].
(٢) سورة سبأ آية [٢١].
(٣) سورة الطارق آية [٤].
(٤) سورة الأنفطار آية [١٠ - ١١].
(٥) سورة الأنعام آية [٦١].
(٦) سورة الرعد آية [١١].

وكذلك كتابنا ؛ هذا الكتاب العظيم ؛ كتابٌ محفوظ ؛ قال U {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ}(١) ، وقوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}(٢).

والحفيظ من المؤمنين ، هو المحافظُ على أمر الله ، والحافظ لذنوبه ليتوب منها ، والحافظ لحدود الله فلا يتعدَّاها؛ قال تعالى: {وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ}(٣) ، وقال تعالى: {هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ}(٤) ، وقال تعالى: {وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}(٥) فميَّز الصلاة لأنها رأس الإسلام ، وقال تعالى: {وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ}(٦) فميَّز حفظ الفروج لما فيه من حفظ النسل.

وقال تبارك وتعالى في علاقة المرأة بزوجها: {فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ}(٧) فكل هذه أمور مهمة ، فلذلك أمر الله تبارك وتعالى عباده أن يكونوا من الحافظين المحافظين.

---

(١) سورة ق آية [٤].
(٢) سورة البروج آية [٢١ - ٢٢].
(٣) سورة التوبة آية [١١٢].
(٤) سورة ق آية [٣٢].
(٥) سورة المعارج آية [٣٤].
(٦) سورة المؤمنون آية [٥].
(٧) سورة النساء آية [٣٤].

وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلفَ النبي e يوماً فقال: (**يا غلام ! إني أُعَلِّمُكَ كلمات: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك** ـ وفي رواية: تجده أمامك ـ **إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجَفَّتِ الصحف**)(١).

هذا نبيُّنا e يربي الشخصية المسلمة المؤمنة ، التي لا تسجد ولا تركع إلا لله ، العزيزة بدين الله تبارك وتعالى ؛ (احفظ الله يحفظك) ما معنى ذلك ؟ قال الحافظ بن رجب رحمه الله: ((احفظ الله) يعني: احفظ حدوده ، وحقوقه ، وأوامره ، ونواهيه ؛ وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده ، فلا يتجاوزُ ما أمربه) (٢). فكل ذلك من الحفظ.

وقال أيضاً رحمه الله: (وحفظ الله تبارك وتعالى لعبده يدخل فيه نوعان: الأول: حفظه تبارك وتعالى له في مصالح دنياه ؛ كحفظه في بدنه وماله وولده وأهله ، هذا حفظ دنيوي ، قال الله U: { لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ }(٣) أي: يحفظونه بأمر الله، قال ابن عباس t في معنى هذه الآية: هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدرُهُ خَلَّوا عنه(٤).

---

(١) رواه أحمد (١ / ٢٩٣) ، والترمذي (٢٥١٦).

(٢) >جامع العلوم والحكم< ص (٤٦٢) ط. الرسالة.

(٣) سورة الرعد آية [١١].

(٤) >تفسير الطبري< (١٣/ ٤٥٨).

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكـــن النبي e يدع هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يصبح: (**اللهم إني أســـألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي ، وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعـــوذ بعظمتـــك أن أغتال من تحتي**)(١).

وكان بعض العلماء قد جاوز المائة وهو متمتعٌ بقوته وعقله ، فوثب يوماً وثبةً شديدةً ، فعوتب في ذلك ، فقال: هذه جوارحُ حفظناها عن المعاصـــي في الصغر ، فحفظها الله تبارك وتعالى في الكبر.

وقد يحفظ الله تبارك وتعالى العبدَ بصلاحه بعد موته في ذريته. قال ابـــن المنكدر رحمه الله تبارك وتعالى: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولدَه وولدَ ولده والدويرات التي حوله ، فما يزالون في حفظٍ من الله وستر.

وكان ابن المسيب رحمه الله تبارك وتعالى يزيد في صلاته ويقـــول لابنـــه: لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك ، رجاء أن أُحْفَظَ فيك ، ثم تلا هذه الآية: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}(٢).

ومن عجيب حفظ الله تبارك وتعالى لمـــن حفظـــه ، أن الله U يجعـــل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظةً له من الأذى ، كما جرى لِسَفينةَ t ، مـــولى النبي e حيث كُسِرَ به المركبُ في البحر ، فخرج إلى جزيرةٍ ، فرأى أســـداً ، فجعل ذلك الأسد يمشي معه حتى دلَّه على الطريق ، فلما أوقفه عليه ، جعـــل يُهَمْهِمُ كأنه يُوَدِّعُهُ ثم رجع عنه.

---

(١) رواه أحمد (٢ / ٢٥) ، وأبو داود (٥٠٧٤) ، والنسائي (٨ / ٢٨٢).
(٢) سورة الكهف آية [٨٢].

والنوع الثاني من الحفظ ، وهو أشرف النوعين: حفظ الله U للعبد في دينه وإيمانه ، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ، ومن الشهوات المحرمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته ، فيتوفاه على الإيمان.

قال بعض السلف: إذا حضر الرجل الموت يُقال للمَلَك: شمَّ رأسه ؟، قال: أجد في رأسه القرآن ، فيقول: شم قلبه ؟، قال: أجد في قلبه الصيام. قال: شم قدميه ؟، قال: أجد في قدميه القيام. فيقول: حفظ نفسه فحفظه الله.

وفي الصحيحين عن النبي e ، في دعاء النوم الذي كان يقول فيه النبي e : **(باسمك اللهم وضعت جنبي وباسمك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فاغفر لها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)**[1].

ومن دعائه e **(اللهم احفظني بالإسلام قائماً ، واحفظني بالإسلام قاعداً ، واحفظني بالإسلام راقداً ، ولا تُطِعْ فيَّ عدواً ولا حاسداً)**[2] وفي الجملة فإن الله U يحفظ على المؤمن الحافظ لحدوده دينه ، ويحول بينه وبين ما يُفسد عليه دينه بأنواعٍ من الحفظ)[3].

وفي قصة الشيطان مع أبي هريرة t في صحيح البخاري ، والتي قال فيها الشيطان لأبي هريرة: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي {ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ...} حتى تختمها فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ؛ هذا حافظ إضافي ببركة قراءة آية الكرسي ، وكيف لا وفيها الكلمات العظيمات

---

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠) ، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة t .

(٢) رواه ابن حبان (٩٣٤) من حديث عمر ابن الخطاب t .

(٣) >جامع العلوم والحكم< ص (٤٦٥ – ٤٦٩) بتصرف.

{وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ} قال: فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربــك شيطان حتى تصبح.

قال ابن كثير رحمـــه الله في قولــه U: {وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ} قال: (هي كقوله تعالى: {ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ} ، وهذه الآيات وما فيها من الأحاديث الصحاح ؛ الأجودُ فيها طريقة الــسلف: إمرارُهـــا كمـــا جاءت ، من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تشبيهٍ)[1]؛ كما قال ذلك الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلــوم ، والكيـــف مجهـــول ، والسؤال عنه بدعة.

فنؤمن بها من غير تمثيلٍ ولا تكييفٍ ، ولا تشبيه ولا تعطيـــل ، ونقـــول: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}[2] سبحانه وتعالى.

وهذه هي آية الكرسي ، فما أحرانا أن نحافظ عليها. عنـــد النـــوم ، لأن النوم وهو الموتة الصغرى ، وأن نحافظ عليها بعد الفروض لأننا سنلقى الله تبارك وتعالى ولا بد بعد فرضٍ من الفروض ، فلتكن خاتمتنا بقراءة هذه الآية التي قال عنها النبي e: (**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**)[3].

---

(١) >تفسير ابن كثير< (٢/ ٦٢٧).

(٢) سورة الشورى آية [١١].

(٣) تقدم تخريجه ص (٩).

هذا مايسَّر الله لنا بيانه من معاني هذه الآية العظيمة المباركة

(آية الكرسي)

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

d n f